المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

فاعلية تقنية المفاجأة
في قصص إحسان عبد القدوس القصيرة
دراسة نقدية في البناء السردي

The effectiveness of the surprise technique in the short stories of Ihsan Abdel Quddous, a critical study in narrative construction.

بقلم الدكتور

محمود عبد المنعم محمود أحمد

مدرس الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين بقنا ـ جامعة الأزهر الشريف ـ جمهورية مصر العربية

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الأول من إصدار سبتمبر ٢٠٢٤م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

فاعلية تقنية المفاجأة في قصص إحسان عبد القدوس القصيرة دراسة نقدية في البناء السردي

محمود عبد المنعم محمود أحمد

قسم الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا ـ جامعة الأزهر الشريف ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: mahmoudabdelmoneim.4119@azhar.edu.eg

الملخص

يهدف البحث في محتواه إلى تناول تقنية المفاجأة في قصص « إحسان عبد القدوس »، وبيان أنماطها وأثرها في تحول سياقات السرد وعناصره المختلفة، وأثر ذلك على تشكيل أفكار القصص ومضامينها ومدى التطور والتحديث الذي حظيت به في قصصه ومواكبته لتطور الحياة، وأحداثها، وقضاياها ودلالته على قدرة وقوة الكاتب الإبداعية في تحقيق هذا التطوير والتحديث وتطويعه لمقتضيات الحياة وقضاياها المختلفة.

وقد اتبعت في هذا البحث منهجاً تحليليًّا تتجلى وظيفته الأدبية في تحليل وتفسير ظاهرة المفاجأة، والتعمق في كشف خصائصها المميزة لها في النصوص وتأثيراتها في عملية السرد وعناصرها المختلفة، ثم تقييمها ونقدها في ضوء نظرية السرد من خلال تعالقها بالمقام السردي، ثم استنباط نتائج هذا التعالق المحددة لفاعليتها في النصوص القصصية ومقامها السردي.

واتجهت في هذا البحث وفقاً لطبيعته وملامحه البارزة في النصوص إلى تناول مفرداته من خلال ثلاثة مباحث يسبقهما مقدمة وتمهيد وتعقبهما خاتمة، ففي المقدمة تحدثت عن موضوع البحث ودوافعه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث ثم خطته، وفي التمهيد أوضحت ملامح من سيرة وحياة « إحسان عبد القدوس »، ثم عَرَّفتُ بالمفاجأة وعلاقتها بالتحول المفاجئ، وفي المبحث الأوّل تناولت المفاجأة المحتملة من خلال نمطيْها البارزين في القصص المحتمل بدليل لفظي وبدليل سياقي، وفي المبحث الثاني تناولت المفاجأة العكسية بأنماطها البارزة في القصص،

والمتمثلة في الحدث المفاجئ العكسي، والشخصية المفاجئة العكسية، والفكرة المفاجئة العكسية، وفي المبحث الثالث تناولت المفاجأة المتنوعة بنمطيها المفترق والمزدوج، وفي الخاتمة رصدت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، والتي أظهرت مقدرة « إحسان عبد القدوس » وقوته الإبداعية الفذة في صياغة أفكار قصصه، وجسّدت مرونة المفاجأة وطواعيتها لطبيعة الأفكار، وتبعاً لذلك تطورت المفاجأة في سياقات القصص تطوراً واضحاً من المفاجأة المفردة إلى المفاجأة المتعددة تعدداً متوالداً أو متنوعاً، تَحوَّل البناء في إطاره من الخيالية إلى الواقعية، ومن السطحية إلى العمق، ومن الواقعي إلى الجدلي، ومن الجاد إلى الهزلي، ومن الإخباري إلى البحثي.

الكلمات المفتاحية: فاعلية، المفاجأة، القصة القصيرة، إحسان عبد القدوس، البناء السردي.

The effectiveness of the surprise technique in the short stories of Ihsan Abdel Quddous, a critical study in narrative construction.

Mahmoud Abdel Moneim Mahmoud Ahmed
Department of Literature and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys in Qena, Al-Azhar University, Qena, Egypt.
Email: mahmoudabdelmoneim.4119@azhar.edu.eg

Abstract

The research aims in its content to address the surprise technique in the stories of "Ihsan Abdel Quddous", and to clarify its patterns and its impact on the transformation of narrative contexts and its various elements, and the impact of that on the formation of the ideas of the stories and their contents and the extent of development and modernization that they have enjoyed in his stories and keeping pace with the development of life, its events, and its issues and its indication of the writer's creative ability and strength in achieving this development and modernization and adapting it to the requirements of life and its various issues.

In this research, I followed an analytical approach whose literary function is manifested in analyzing and interpreting the phenomenon of surprise, delving into revealing its distinctive characteristics in texts and its effects on the narrative process and its various elements, then evaluating and criticizing it in light of the narrative theory through its relationship to the narrative situation, then deducing the results of this relationship that determine its effectiveness in narrative texts and their narrative situation. In this research, according to its nature and prominent features in the texts, I headed to address its vocabulary through three chapters preceded by an introduction and a preface and followed by a conclusion. In the introduction, I talked about the research topic and its motives, previous studies, the research methodology and then its plan. In the preface, I explained features of the biography and life of "Ihsan Abdel Quddous", then I defined surprise and its relationship to sudden transformation. In the first chapter, I addressed

the potential surprise through its two prominent patterns in the stories, which are possible with verbal evidence and contextual evidence. In the second chapter, I addressed the reverse surprise with its prominent patterns in the stories, represented by the reverse surprise event, the reverse surprise character, and the reverse surprise idea. In the third chapter, I addressed the diverse surprise with its two separate and dual patterns. In the conclusion, I monitored the most important results reached by the research, which showed the ability of "Ihsan Abdel Quddous" and his unique creative strength in formulating the ideas of his stories, and embodied the flexibility and malleability of surprise. Due to the nature of ideas, and accordingly, surprise in the contexts of stories has developed clearly from a single surprise to a multiple surprise, a multiplicity that is generative or diverse, the structure has transformed within its framework from the imaginary to the realistic, from the superficial to the profound, from the realistic to the dialectical, from the serious to the comic, and from the informative to the research.

Keywords: effectiveness, surprise, short story, Ihsan Abdel Quddous, narrative structure.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي يغيِّر ولا يتغيَّر، ويبدِّل ولا يتبدَّل، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي جاء بمنهج التغيير نحو الأفضل، وعلى آله الأخيار، وصحابته الأطهار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين **وبعد**.

فالفن القصصي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بواقعه الاجتماعي في عملية تكوينه وتشكيله، بما يجسده من قضاياه وأفكاره المطروحة للإبداع، حتى يغدو بعد اكتمال إبداعه صورة حية دالة على ملامح الواقع الاجتماعية والفكرية والثقافية، وما يدور فيها من تغيرات وتحولات بفعل أفراده، وما يطرأ عليهم من ظروف وأفكار وثقافات في عملية تأثيرية فاعلة يمثل فيها الواقع وعاءً يستمد منه الفن القصصي أفكاره الإبداعية، ويطرحها على القراء هادفاً إلى كشف أسباب التغيرات والتحولات في الواقع، ومدى إيجابيتها وسلبيتها على الأشخاص كشفاً يلازمه الغوص في أغوار نفوسهم للوقوف على مخزونها النفسي الباطني وطبيعته المُحدَّدَة تبعاً لصورة التغيرات والتحولات، وما تحمله من حُسن أو قبح في علاقاتهم الجدلية، ومعاملاتهم اليومية التي تستلزمها حركة الحياة في واقعهم الاجتماعي؛ رغبة في تعظيم الحَسَنِ منها، وتحقير القبيح من خلال تنبيه المتلقي إلى الانصراف عنه.

والفن القصصي في هذا الفعل الإبداعي يعكس قدرته الفائقة على التشكل بصورة الحياة في واقع أفراد المجتمع، وعلى استدعاء أساليبَ نابعةٍ من معاملاتهم راسخة في وجدانهم السلوكي والنفسي، تتبلور في ضوئها حركةُ الحياة الاجتماعية وتحولاتها تبلوراً يبدو فيه الفن القصصي فاعلاً في مواكبة مواقف الحياة وتجاربها، قادراً على التطور والتجدد وفقاً لتطورها وتجددها، من خلال تطويره وتحديثه الدائم لأساليبه وأدواته الفنية وجعلها أكثر سرعة وحيوية في التحول والتطور السريع وفقاً لمقتضيات التطور في علاقات الأفراد والجماعات المؤطرة لحركة الحياة وطبيعتها السائدة، وفي هذا التطوير المستمر اتجه الفن القصصي إلى استعمال تقنياتٍ فنيةٍ أكثرَ قدرةً على مواكبة الأحداث والقضايا وتشكيل أفكارها في

إطار الفضاء السردي، كان في مقدمتها تقنية المفاجأة التي تغاير توقع المتلقي وتقلب اعتقاده في الأحداث قلباً يحمله على الاندماج مع الأحداث منتظراً ما تئولُ إليه بعد ذلك، ولأهمية المفاجأة في تشكيل وسرد أفكار النصوص القصصية كان من المهم تناولها ببحث يكشف عن فاعليتها في الإبداع القصصي، وأثرها في تحولات البناء السردي وعناصره المعبِّرة فنيًّا عن تحولات الحياة الاجتماعية وعلاقة الأفراد فيها.

ومن هنا ــ وبعد توفيق الله –عز وجل ــ كان اختياري لموضوع بحثي الذى جعلت عنوانه: **(فاعلية تقنية المفاجأة في قصص إحسان عبد القدوس القصيرة دراسة نقدية في البناء السردي)** محاولاً بهذا البحث تتبع المفاجأة في قصص « إحسان عبد القدوس » للوقوف على تشكلاتها، وتأثيراتها في تشكيل العملية السردية وعناصرها المكونة للأفكار المقصودة في القصص، وتبعاً لهذا يمكن الإشارة إلى الدوافع الباعثة على البحث في هذا الموضوع.

أهم دوافع اختيار موضوع البحث:

١ــ ثراء تجربة « إحسان عبد القدوس » القصصية، وانتهاجه منهج التجريب والتحديث في أعماله؛ مما حقق لديَّ رغبة كبيرة في كشف ملامح التحديث والتطوير في تقنيات السرد، وقدرتها على إثراء السرد وتحقيق قوته وفاعليته في عرض المضامين المقصودة في القصص.

٢ــ إن البحث في التقنيات والآليات السردية مقام ثريٌّ حافل بالتجديد يغري الباحثين بخوض غماره، ويدفعهم إلى البحث الدائم فيه بُغية الوقوف على ما يستجدُّ من أنماطٍ وأساليبَ تقنية ودورها في تقوية الإبداع القصصي وتطويره.

٣ــ إن البحث في تقنيات السرد ــ وخاصة المفاجأة ــ يكشف عن مدى قوة الكاتب، وقدرته على صياغة عملية سردية إرسالية فاعلة في تحقيق تكامل وتناغم عناصرها الثلاثة (المُرْسِل والمُرْسَل والمُرْسَل إليه)، وأثره في تقديم فكرة قوية مقنعة.

دراسات سابقة:

بالرغم من ثراء تجربة « إحسان عبد القدوس » وكثرة إنتاجه القصصي إلا أني لحَظت قلة وندرة في الدراسات حول أعماله، وكان أكثر ما وقفت عليه في هذه القلة حول الروايات، أمَّا المجموعات القصصية فلم أقف إلا على بحث واحد في قصة مفردة من قصص مجموعاته، هذه الدراسات يمكن إيضاحها في الآتي:

١ــ روايات « إحسان عبد القدوس » ذات الاتجاه النفسي ومصادرها الأجنبية دراسة مقارنة في التقنيات الفنية والتداخل الحضاري (دكتوراه)، شريف سعد محمد الجيار، كلية الآداب جامعة عين شمس، القاهرة ــ مصر٢٠٠٣م.

٢ــ الرواية السياسية دراسة في نماذج من روايات « إحسان عبد القدوس » (ماجستير)، آي خه شيو باحث صيني، كلية الآداب، جامعة القاهرة ــ مصر٢٠١٥م.

٣ــ الأبعاد النفسية في روايات « إحسان عبد القدوس » (ماجستير)، سارة محمود حسن علي، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة ــ مصر٢٠٢٣م.

٤ــ سمات الرواية السياسية تطبيق على "وغابت الشمس ولم يظهر القمر" لـ « إحسان عبد القدوس » (بحث)، عزة عبد اللطيف محمد عامر، مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، القاهرة ــ مصر٢٠٢٠م.

٥ــ الشخصية الرئيسية في روايتي " خاندان " لـ « خالدة أديب أديوار »، و" أنا حرة " لـ « إحسان عبدالقدوس» دراسة مقارنة (بحث)، رفيدا محمد محمود، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج ــ مصر٢٠٢٣م.

٦ــ توظيف نمط الأناقة لتدريج وإعادة بناء الذات في قصة " أنا لا أكذب ولكني أتجمل" لـ « إحسان عبدالقدوس » و"جاتسبي العظيم" لـ « فتز جيرالد » (بحث)، إكرام أحمد الشريف، مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، القاهرة ــ مصر٢٠٢١م.

أمّا عن المفاجأة فقد لحظت كذلك ندرة الدراسات حولها؛ حيث وقفت على بحثين فقط حولها هما:

١ــ عنصر المفاجأة في قصص عبده خال (بحث)، د. ضفاف عدنان هاشم، مجلة آداب المستنصرية، الجامعة المستنصرية، بغداد ــ العراق٢٠١٦م.

٢ــ الطابع الإعجازي لعنصر المفاجأة في القصص القرآني (بحث)، الخلفي عبد الغني، مجلة ريحان للنشر العلمي، مركز فكر للدراسات والتطوير، حلب ــ سوريا٢٠٢١م.

منهج البحث:

أمّا عن منهج البحث فقد اتبعت فيه منهجاً تحليليًّا يقوم على تحليل وتفسير ظاهرة المفاجأة، والتعمق في كشف خصائصها وتأثيراتها المختلفة في البناء السردي، ثم تقييمها ونقدها في ضوء نظرية السرد من خلال تعالُقها بالمقام السردي، ثم استنباط نتائج هذا التعالق المحددة لفاعليتها في عناصر النصوص القصصية ومقامها السردي.

وقد اعتمدت في دراستي هذه على القصص القصيرة في مجموعات « إحسان عبد القدوس » القصصية التي وردت فيها تقنية المفاجأة وكان أثرها جلياً وفاعلاً في بنائها السردي وعناصره، ممثلة في مجموعات آسف لم أعد أستطيع، والتجربة الأولى، والنساء لهن أسنان بيضاء، والهزيمة كان اسمها فاطمة، وبنت السلطان، وبئر الحرمان، وعلبة من الصفيح، وفوق الحلال والحرام، ووكر الوطاويط، ولمن أترك كل هذا؟!.

خطة البحث:

أمّا عن خطة البحث فقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة. تناولتُ في المقدمة موضوع البحث ودوافعه، والدراسات السابقة ومنهج البحث ثم خطته.

وفي التمهيد أوضحت ملامح من سيرة وحياة « إحسان عبد القدوس »، ثم عرَّفت بالمفاجأة وعلاقتها بالتحول المفاجئ والفاعلية. وفي المبحث الأوّل تناولت

المفاجأة المحتملة من خلال نمطيها البارزين في القصص المحتمل بـــدليل لفظـــي وبدليل سياقي. وفي المبحث الثاني تناولت المفاجأة العكسية بأنماطها البـــارزة فـــي القصص والمتمثلة في الحدث المفاجئ العكسي، والشخصـــية المفاجئـــة العكســـية، والفكرة المفاجئة العكسية. وفي المبحث الثالث تناولت المفاجأة المتنوعة بنمطيهـــا المفترق والمزدوج. وفي الخاتمة رصدت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وفي الأخير نأمل أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت في الكشف عن قيمة تقنية المفاجأة ودورها في تأطير معالم السرد وأفكار القصص، وأن تكون نافعة مفيـــدة لكل مهتم بالتحليل السردي، والله أسأل أن يتجاوز عن السهو والخطأ؛ إنـــه نعـــم المولى ونعم النصير.

التمهيد

أولاً ــ **إحسان عبد القدوس .. حياة الاختلاف :**

ثانياً ــ **المفاجأة والتحول المفاجئ :**

======

أولاً ــ إحسان عبد القدوس .. حياة الاختلاف:

إحسان عبد القدوس صحفي وأديب كبير أثرَى الحياة الأدبية برصيد ضخم من المجموعات القصصية والروايات التي تحولت إلى أعمال درامية وسينمائية ومسرحية، إضافة إلى المقالات والكتابات المتنوعة في الأدب والسياسة وفي غيرها، ولد في القاهرة في يناير ١٩١٩م في أسرة طغَى عليها الاختلاف نتيجة التناقض الشديد بن أفرادها، بداية من جده لأبيه الذي كان عالماً أزهريًّا زاهداً محافظاً على القواعد الدينية، والذي وقع الخلاف الشديد بينه وبين ابنه محمد عبد القدوس والد « إحسان عبد القدوس » نتيجة إقدامه على الزواج من فاطمة اليوسف الممثلة المسرحية؛ " فكيف يتزوج ابنُ مَن زهد الدنيا واتجه بقلبه إلى الآخرة من ممثلة؟! فثار الأبُ على الابن ثورة عارمة، وحاول الأصدقاء والمعارف أن يوفِّقوا ما بين وجهتي النظر ولكن الأب أصرَّ على موقفه... وكذلك أصرَّ الابن على موقفه. وتزوج محمد أفندي عبد القدوس من الممثلة التي أصبح اسمُها روزَ اليوسف عام ١٩١٧م، ويتبرَّأ الأب من ابنه إلى يوم القيامة ويطرده من بيته... ويستقيل الابن المتمرد من وظيفته الحكومية، ويتفرغ للفن ممثلاً ومؤلفاً مسرحيًّا..."[١]

ولم يقف الخلاف عند الجد والأب فحسب بل وقع كذلك بين الأب والأم فاطمة اليوسف نتيجة اختلاف الذهنية فوالده خيالي يعيش اللحظة ولا يعبأ بغد، ووالدته واقعية ذات فكر اقتصادي تحسب لكل شيء حسابه نتيجة حياتها التي

---

(١) إحسان عبد القدوس.. يتذكر، د. أميرة أبو الفتوح، ص١٤، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر١٩٨٣م.

تعرضت فيها لليتم منذ صغرها ومواجهتها للحياة دون أب أو أم؛ مما أدى إلى التعارض بينهما والذي انتهى بالطلاق قبل أن يصل « إحسان عبد القدوس » إلى الدنيا، وبعد شهرين من الطلاق ولد ابنهما إحسان، " وفي نفس اليوم أيضاً قرر الجد الشيخ رضوان نزعه من بين أحضان أمه التي رضيت مُرغمة أن تتركه للجد حيث تتوفر له سبل الرعاية التي لن تستطيع هي أن توفرها له، وقررت المضي في طريق الفن حيث الشهرة والأضواء.."[١]

ولكن بعد أن شبَّ « إحسان عبد القدوس » وبلغ ثمانية عشر عاماً قرَّر أن يعود إلى أحضان أمّه فاطمة اليوسف، والتي كان يزورها مرة في الأسبوع فينعم معها وتنعم معه بالأمومة، وتغدق عليه من الحنان والحُب ما يكفيه إلى أن يأتي اللقاء التالي بينهما، وقد كان لهذه العودة أثرها البالغ في تكوينه الثقافي والأدبي بعد ذلك؛ حيث تأثر تأثراً كبيراً بتوجه والدته الفني والصحفي في عملها بمجلة (روز اليوسف) التي كانت تمتلكها وترأس تحريرها، وقد ظهر هذا الأثر واضحاً جليًّا بعد تخرجه في كلية الحقوق جامعة القاهرة، وإخفاقه في التفاعل مع المحاماة فاتجه كليًّا إلى الكتابة السياسية والأدبية؛ يقول: "وهذا الجمع بين السياسة والأدب هو الذي حيَّر الناس في تحديد شخصيتي ككاتب... والواقع أني عندما بدأت أكتب وأنشر كتبت قصصاً وخواطرَ وانطلاقاتٍ أدبيةً وفنية... ولكني أوّل ما عُرِفت عند الناس لم أُعرف ككاتب قصة إنما عُرِفت ككاتب سياسي... وذلك بالرغم من أني كنت أكتب آرائي السياسية وانطلاقاتي القصصية في وقت واحد، وكانت تنشر معاً في مجلة (روز اليوسف)... وفي أعداد روز اليوسف التي نشرت فيها قضية الأسلحة الفاسدة ــ مثلاً ــ كنت أنشر فيها أيضاً قصة النظارة السوداء... ولكن الذي قدّمني إلى القراء أيامها هو أنّ الأقلام كانت تعيش في جو واسع من الحرية السياسية، وهذه الحرية هي التي قدّمتني ككاتب سياسي قبل أن أُعرَفَ ككاتب قصصي."[٢]

---

(١) إحسان عبد القدوس.. يتذكر، د. أميرة أبو الفتوح، ص ١٥.

(٢) خواطر سياسية، إحسان عبد القدوس، ص٦، ط. دار أخبار اليوم، القاهرة ــ مصر، الأولى ١٩٩٩م.

بعد ذلك انطلق « إحسان عبد القدوس » في عالم الكتابة مفعَماً بالنشاط والحيوية الثقافية الكبيرة التي جعلته يضيق بمجلة روز اليوسف؛ فتركها واتجه إلى جريدة أخبار اليوم وعمل بها صحفيًّا حتى ترأس تحريرها ثم مجلس إدارتها بعد ذلك، وقد أسهمت إسهاماً كبيراً في تقديم مقالاته السياسية ومؤلفاته الأدبية للقراء منذ بداياته فيها، على الرغم مما تعرض له من السجن وتكبيل حُريته، على نحوٍ أضحى معه كاتباً سياسيًّا وأديباً لامعاً بين قرائه في مصر وخارجها في وقت وجيز بالمقارنة مع أقرانه؛ مما أدى إلى بلوغه أوجَّ الشهرة التي تحولت فيها مؤلفاتُه الروائية إلى العديد من أقطار العالم عبر ترجمتها إلى العديد من اللغات، يقول: "وكنت أنا دائماً مطمئنًّا إلى أني سأصل إلى قرائي... حتى عندما كانت تشتد الحملات ضدي وضد ما أكتبه من دعوات وآراء اجتماعية وسياسية، كنت مطمئنًّا إلى أني سأجد قرائي ولو بعد أن أموت، ككثير من الكتاب الذين لم يصلوا إلى قرائهم إلا بعد أن ماتوا... والحمد لله فإني لم أنتظر الموت حتى أصل إلى قرائي!!"(١)

بل جذب إليه مبكراً جمهوراً عريضاً من القراء عبر مشروعه القصصي الكبير الذي حمل موضوعاتٍ سياسيةً واجتماعيةً متغلغلة في عمق المجتمع تضمنتها قصصُه ورواياتُه فائقة العدد مثل: (رواية الرصاصة لا تزال في جيبي، والنظارة السوداء، والوسادة الخالية، وحتى لا يطير الدخان، وفي بيتنا رجل، ولا تطفئ الشمس، ولن أعيش في جلباب أبي، ومجموعة التجربة الأولى، وبئر الحرمان، والحب في رحاب الله، وبنت السلطان، وحائر بين الحلال والحرام، وعلبة من الصفيح، ودمي ودموعي وابتسامتي، وصانع الحب، والهزيمة كان اسمها فاطمة، ومنتهى الحب، ووكر الوطاويط، ولمن أترك كل هذا، وتاهت بعد العُمر الطويل)، وغيرها من الأعمال القصصية الكثيرة التي قدّم فيها أفكاره وموضوعاته تقديماً لا ينفك عن تصوير الحُب وقيمته في عمق الموضوعات السياسية والاجتماعية

---

(١) أيام شبابي، إحسان عبد القدوس، ص٦، ٧ ط. المكتب المصري الحديث، القاهرة ــ مصر، الأولى ١٩٨٠م.

المطروحة في أعماله القصصية حتى كان اهتمامه به تيمة واضحة في كتاباته القصصية، والذي صرَّح به قائلاً: " حاولت منذ بداية تجاربي الأدبية أن أقنع المجتمع بمعنى الحُب، وأن يعامل هذه اللفظة المقدسة باحترام، وأن يفهم جيداً أن إحساس إنسان بالحُب هو مصدر كل حُب للإنسانية جمعاء. وبدأت أستخدم كلمة « حب » بمعنى أبعد ما يكون « العيب ». وبهذه المناسبة أذكر أن بعض الأصدقاء الحميمين قد نصحوني بأن أغيِّر اللفظة إلى كلمة « محبة » ولكني رفضت المساومة على كلمة تحمل معنى جميلاً وحقيقيًّا"[١] رفضاً كشف عن اتجاهه إلى إرساء مشروع قصصي ذي بُعدٍ تجريبي مفارق للتقليدية، حقق له ذيوعاً ومنحه زخماً كبيراً لدى قاعدة عريضة من القراء.

وحاز على استقطاب السينما والدراما لكثير من نماذجه القصصية؛ مما حقق لـ« إحسان عبدالقدوس» مكانة عالية في الساحة الأدبية منحته القدرة على القيام بدور إيجابي فاعل في الحياة الأدبية تجاه كُتاب القصة وكتاباتهم في آن واحد؛ حيث يقول: " أوّل ما واجهني في الحركة الأدبية هو الأديب نفسه بدأت أولاً بالبحث عن نفسي، ولكني شعرت أن لا كيان للأديب عموماً؛ لهذا فكرت في إنشاء نادي القصة، وذهبت إلى يوسف السباعي في الجيش، وأخذنا نمرٌّ على الأدباء نعرض الفكرة. كان ذلك حوالي عام ١٩٥٠م الكبار منهم « عصلجوا » في البداية ثمّ وافقوا. ثمّ أصدرنا الكتاب الذهبي ليصبح الأديب شعبيًّا. فبعد أن كان أكبر الكُتاب محدوداً في ٣ أو ٤ آلاف نسخة أصبحنا نطبع ونوزع عشرين ألفاً. وقد كنت أوّل من طلب ألف جنيه مقابل تحويل القصة الأدبية إلى فيلم سينمائي. رفض المنتجون في البداية ثُمّ وافقوا، حتى وصل ثمن القصة إلى ٣٥٠٠ جنيه. كان يعنيني في الكثير ألا يقل كياني « كأديب » عن كيان أية ممثلة تتقاضى سبعة آلاف جنيه. وجاء اليوم الذي أصبح فيه الأديب من أبناء جيلي « صاحب الفضل » على الناشر أو المنتج، وليس العكس."[٢]

---

(١) مذكرات ثقافة تحتضر، غالي شكري، ص٣٠٤، ط. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ــ لبنان، الأولى ١٩٧٠م.

(٢) المرجع السابق، ص٣١٨، ٣١٩

ولهذا الانتاج الأدبي الغزير الذي أسهم به « إحسان عبد القدوس » في الحياة الأدبية، وما تحقق له من مكانة أدبية عالية وفاعلة نال اهتمام المحافل الأدبية والمؤسسات الثقافية والمهرجانات السينمائية الوطنية والأجنبية، فمنحته الكثير من التكريمات والأوسمة كان من أهمها وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى الذي منحه له الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، ووسام الجمهورية الذي منحه له الرئيس الراحل محمد حُسني مبارك، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب التي مُنحت له عام ١٩٨٩م، وبعد مسيرة حافلة بالإبداع والتوهج الأدبي توفي في ١١ يناير ١٩٩٠م.

ومن بين هذا الإنتاج القصصي الغزير تناول البحث بالدراسة القصص القصيرة التي اعتمدت على تقنية المفاجأة في بنائها السردي اعتماداً فاعلاً، والتي تضمنتها مجموعة آسف لم أعد أستطيع التي اشتملت على ثماني قصص عرض فيها بعض المشكلات الاجتماعية والفردية، ومن بينها جاءت المفاجأة فاعلة في قصة كان يعيش مع لسانه التي تناولت مشكلة الثرثرة لدى أفراد المجتمع، ومجموعة التجربة الأولى التي اشتملت على عشرين قصة تنوعت أفكارها بين القضايا السياسة، والاجتماعية، والعاطفية، جاءت المفاجأة من بينها فاعلة في قصة اليوم الأخير التي تحمل فكرة التحرر من التقاليد الشرقية، وقصة الساحر التي حملت فكرة الحُب وصراعه النفسي، ومجموعة النساء لهن أسنان بيضاء التي اشتملت على ست قصص اجتماعية تناول فيها تطورات المجتمع وأفراده، جاءت المفاجأة من بينها فاعلة في قصة القط أصله أسد التي تناولت تطور الفرد من الانغلاق الهدام إلى الانفتاح البناء.

ومجموعة الهزيمة كان اسمها فاطمة التي اشتملت على أربع عشرة قصة متنوعة بين السياسية والاجتماعية، جاءت المفاجأة من بينها فاعلة في قصة جريمة ولاعة السجائر التي تناولت قوة تقاليد المجتمع في توجيه فكر الأفراد، ومجموعة بنت السلطان التي اشتملت على ثلاث وثلاثين قصة تنوعت بين الاجتماعية والعاطفية، جاءت المفاجأة فاعلة من بينها في قصة قبل الطلاق التي تناولت اضمحلال القيم في الأسرة، وفي قصة زواج البحار التي تناولت حالة التنازع

والتشظي والانشطار بين الحب والشك. ومجموعة بئر الحرمان التي اشتملت على سبع قصص طغى عليها الجانب النفسي التحليلي، جاءت المفاجأة فاعلة في أربع منها تمثلت في قصة بئر الحرمان، وسقوط العقل اللتين تناولتا المرض العقلي، وقصة البحث عن خيانة، وعريس لأختي اللتين تناولتا مشكلة الخيانة، والزواج من منظور نفسي.

ومجموعة علبة من الصفيح التي اشتملت على عشرين قصة تركزت حول العديد من القضايا الاجتماعية، جاءت المفاجأة فاعلة في ثلاث منها تمثلت في قصة كل هذا الحب التي تناولت فكرة نقاء الحب، والمدرسة الحديثة التي تناولت التجريدية في الواقع، وصائد الغزال التي تناولت قضية التحرش، ومجموعة فوق الحلال والحرام التي اشتملت على تسع قصص اجتماعية ركزت في العلاقات بين الرجل والمرأة، جاءت المفاجأة فاعلة في واحدة منها هي قصة العمر لحظات التي تناولت فكرة فارق العمر في الزواج، ومجموعة وكر الوطاويط التي اشتملت على ست قصص ركزت في الواقعية والتلاؤم مع الواقع، جاءت المفاجأة فاعلة في قصة واحدة هي وكر الوطاويط التي تناولت الانفلات من الخيالية إلى الواقعية، ومجموعة لمن أترك كل هذا؟! التي اشتملت على إحدى عشرة قصة طغى عليها الجانب الاجتماعي النفسي، جاءت المفاجأة فاعلة في اثنتين منها هي قصة إلى أين تأخذني هذه الطفلة التي تناولت ترسيخ الفكر المنطقي في تربية الأبناء، وقصة لمن أترك كل هذا؟! التي تناولت دور القدرات الذاتية والمواهب في تحقيق النجاح.

ثانياً ـ المفاجأة والتحول المفاجئ:

القصة عملٌ إبداعي يهدف من خلاله الكاتب إلى إثارة القارئ وجذبه إلى عمله القصصي جذباً يحمله على الاندماج في القصة فكريًّا وشعوريًّا اندماجاً يتحدد في ضوئه عبقرية الكاتب الخطابية، ومقدرته الفنية على تشكيل أدوات وتقنيات فنية، وتوظيفها في العمل القصصي توظيفاً يتعاضد مع عناصر القصة ونسيجها تعاضداً يقوي الفكرة، ويمنحها القدرة على الإثارة والإقناع على نحو يحمل القارئ على المشاركة الفاعلة في العمل القصصي من خلال التوقع والتوتر والترقب المصاحب لتوالي الأحداث مصاحبة تضفي عليها قدراً كبيراً من التشويق والإثارة والاندماج النفسي والشعوري، حتى تتجمع خيوط الأحداث في نهاية القصة؛ مما يجعل فرقًا كبيرًا "بين القصة التي يُراد بها أساساً إمتاع القارئ أو تسليته أو تثقيفه بطريقة بسيطة، وبين الأخرى التي تعمِّق إحساس القارئ بالحياة، وتوسع آفاق تفكيره، وتزوده بمزيد من الخبرة والتجارب، وتجعله يعيد النظر إلى الأشياء والأحياء من زوايا جديدة... مضيئة"(١)؛ بفضل ما تحمله من مؤثرات تقنية قادرة على إثارة القارئ وشحذ فكره ومشاعره تجاه ما يتلقاه من مادة قصصية.

ومن أبرز هذه المؤثرات التقنية « المفاجأة »؛ إذ تنهض عليها حيوية أحداث القصة بما تشيعه فيها من التوتر والترقب وغيرها من المشاعر الانفعالية المشوقة التي تمسك بزمام ذهن المتلقي ومشاعره؛ فلا يستطيع منها فِكاكاً حتى نهاية الأحداث، فضلاً عن إسهامها الواضح في تحويل مسارات السرد، سواء كان من الإخفاق إلى النجاح أو العكس، أو تحول في مستويات فكرية أخرى، وما يستتبعها من تحول في كافة عناصر السرد (الأحداث، والشخصيات، والزمان، والمكان، واللغة) تحولاً يضفي عليها عمقاً من شأنه إشاعة التوتر الباعث على القلق والترقب لما تئُول إليه تلك التحولات التي أحدثتها « المفاجأة » في القصة، وهذا بدوره يضمن انتباه القارئ وتركيزه ومتابعته لقراءة أحداث القصة حتى نهايتها؛

---

(١) فن كتابة القصة، حسين القباني، ص١٣٦، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ـ مصر يونيو١٩٦٥م.

مما يحقق وصول الفكرة وتأثيرها فيه محققاً الإقناع الذي ينشده الكاتب من عمله القصصي. ولهذه الأهمية التي تحظى بها « المفاجأة » يمكن إيضاح مدلولها على النحو الآتي:

دارت مادة (فجأ) في معاجم اللغة حول الأمر المباغت المثير لدهشة متلقيه، ففي معجم لسان العرب: " فَجِئَهُ الأمر وفَجَأَهُ ــ بالكسر والنصب ــ ... وفاجأَهُ يُفَاجِئُهُ مُفاجأَةً وفِجاءً: هَجَمَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْعُرَ بِهِ؛ وقِيلَ: إِذا جاءَهُ بَغْتَةً مِنْ غَيْرِ تَقَدُّمِ سَبَبٍ ... وكُلُّ ما هَجَمَ عَلَيْكَ مِنْ أَمْرٍ لَمْ تَحْتَسِبْهُ فَقَدْ فَجَأَكْ.."(١)

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: " فجَأَ يَفْجَأ فَجئاً وفَجْأَةً وفُجاءةً، فهو فاجئٌ، فجَأه الأمرُ: بغته، جاءه في وقت لم يتوقَّعه فيه، أي: دون سابق إنذار وعلى غير انتظار، فجأني بزيارته ... وصل فجأة .. افتجأ صديقه: بغته وجاءه دون توقُّع ... مُفاجأة: مصدر فاجأ ... أمر مفاجئ غير متوقّع"(٢). فالمفاجأة بهذا تركزت دلالتها حول الفعل والحدث المباغت للمرء، تركزاً برز معه غياب الالتفات إلى العواطف والانفعالات المصاحبة للمفاجأة، ولعل هذا راجع إلى الرغبة في إبراز الدلالة اللغوية المقصودة بالذات في البحث المعجمي المتخصص في دلالات مفردات اللغة العربية وصيغها المختلفة.

هذا الملمح النفسي أورده معجم علم النفس والطب النفسي؛ حيث ربط مفهوم المفاجأة بالدهشة والإدهاش (surprisingness) الذي يمثل مقياساً لدرجة عدم تحقق توقعات فردٍ ما، ويستخدم اللفظ في مباحث علم الجمال السيكولوجية، وفي علم النفس البيئي(٣)؛ فهنا ربطٌ واضح في دلالة المفاجأة بين الفعل المباغت وما ينتج عنه من أثر نفسي؛ حيث جعل المفاجأة ممثلة في الفعل المباغت مقياساً على

---

(١) لسان العرب، ابن منظور المصري، ج١، ص١٢٠، ط. دار صادر بيروت ــ لبنان.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، ج٣، ص ١٦٧٢ ، ١٦٧٣، ط. عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة ــ مصر، الأولى١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

(٣) ينظر: معجم علم النفس والطب النفسي، د. جابر عبد الحميد جابر، د. علاء الدين كفافي، ج٧، ص٣٨١٦، ط. دار النهضة العربية، القاهرة ــ مصر١٩٩٥م.

ما تخلفه من أثر نفسي، فتكون الانفعالات والعواطف حادَّة إذا كانت المفاجأة شديدة، وتكون متوسطة أو قليلة الحدة إذا ابتعدت المفاجأة عن الشدة.

ذلك ما أكدته الدراسات الحديثة التي دارت حول المفاجأة؛ حيث أظهرت أن المفاجأة عاطفة محايدة قصيرة المدى تختلف « شدتها من المعتدلة إلى القصوى». باعتبارها عاطفة محايدة، ويتم قياس المفاجأة من خلال العواطف التي تتبعها عن كثب(١). وبهذا لا تتضح معالم المفاجأة وتأثيراتها إلا في ضوء ما ينتج عنها من انفعالاتٍ وعواطفَ تنهض في السياقات كمرآة تنعكس على سطحها ملامح المفاجأة ودرجة تأثيرها في عناصرها المختلفة.

وقد حظيت تلك الانفعالات والعواطف بالاهتمام الأكبر لدى الفلاسفة في تناولهم لمفهوم المفاجأة؛ حيث أطلق الدكتور/ علي صبيح التميمي على المفاجأة لفظ الدهشة وعرَّفها قائلاً: " الدهشة عامة هي: انفعال ورجَّة وجدانية شديدة وعنيفة، وهي أيضاً ذهول أمام شيء خارق للعادة وغير مألوف، إنها حالة نفسية مصحوبة بالتوتر والحيرة، وشيء من الألم أحياناً تحصل للفكر عندما يعجز عن استيعاب وتمثل ظاهرة أو معطى وتصنيفه ضمن البنيات والمقولات السابقة؛ فينشأ صراع وتحد معرفي داخلي"(٢)؛ فهنا ظهرت الانفعالات كقاعدة رئيسة انطلق منها ودار حولها مفهوم المفاجأة، لكن برز في هذا التناول التقوقع حول الانفعالات شديدة التوتر والقلق والارتباك التي تنشأ من المفاجآت المحزنة، وفي هذا إغفال واضح لجانب المفاجآت المفرحة التي تنشأ عنها الانفعالات السعيدة والمريحة لمتلقي المفاجأة، وهذا بدوره يصيب المفهوم بالقصور والاضطراب في التحديد الدقيق لماهية المفاجأة وانعكاساتها النفسية في مقام التلقي.

---

(١) ينظر: تأثير استراتيجية المفاجأة علي تجنب الإعلان الرقمي، د. رانيا فاروق عبد العظيم وآخرون (بحث مترجم)، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإسلامية، عدد٢٣ سبتمبر ٢٠٢٠م، ج٥، ص٦٢٤، ط. الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، القاهرة ــ مصر.

(٢) الدولة في الفلسفة السياسية، نظرية بناء الدولة، د. علي صبيح التميمي، ص٢٦، ط. دار أمجد للنشر والتوزيع، القاهرة ــ مصر، الأولى٢٠١٦م.

وبحسب نظرة نقاد الأدب للمفاجأة جاء مفهومها جامعاً لمستوييها السعيد والمحزن على السواء؛ حيث يعرفها « جيرالد برنس Gerald Prince » بأنها: "الحالة العاطفية التي تحدث حين تنقلب التوقعات ويحدث شيء لم يكن في الحسبان، وحدوث المفاجأة يكون فعَّالاً بصفة خاصة حين يكون ما يحدث بالرغم من أنه يخالف التوقعات إلاّ أنّ له أساساً فيما حدث في وقت سابق. وتداخل التلاعب بين المفاجأة والتشويق يشكل تقليديًّا سمة مهمة للعقدة الأمثل"(١)؛ فالحالة العاطفية التي تحدثها المفاجأة جاءت هنا مطلقة دالة على الانفعالات السعيدة والمحزنة الناتجة عن انقلاب التوقعات في السرد من التوقع الحزين إلى السعيد أو العكس انقلاباً يحدث تشويقاً بالغ الأهمية في حركة السرد نحو العقدة والحل الملائم لقصدية الكاتب، ولذهنية المتلقي في آن واحد.

وقد أكد هذه الفاعلية التي يُحدثها تعالق التشويق والمفاجأة في حركة السرد كلٌّ من « بِكْسُنْ وغِنْزْ Beckson & Ganz » في معرض تعريفهما للتشويق بقولهم: "هو الانتظار المفعم بالشكوك إلى نهاية الحبكة؛ فكاتب الرواية البوليسية يفاجئ القارئ عادة بألغاز (اختفاء شخصية مهمة، أو تلفيق أدلّة لإدانة شخص بريء، أو اكتشاف تواطؤ غامض بين المجرم ومسؤول مجهول في الشرطة.. إلخ) تُخرجه من طمأنينته وتزرع فيه القلق، ولا ينجلي اللغز إلا في نهاية الرواية"(٢). وعلى هذا تكون المفاجأة الفاعل الأكثر أهمية في تشكيل عملية التشويق بما تحدثه مواقفها من توتر وقلق مستمر في حركة السرد لا ينتهي إلا بتحقق حلّ العقدة التي أحدثتها مواقف المفاجأة في السرد، ومن ثَمّ فالمفاجأة دعامة رئيسة تكسب السرد حيوية كبيرة بما تشيعه في ثناياه من جوٍّ تشويقي ينجذب إليه المتلقي ويعيش معه ذهنيًّا وعاطفيًّا حتى انتهاء حركة السرد.

---

(١) المصطلح السردي، جيرالد برنس، ترجمة: عابد خازندار، ص٢٢٧، ط. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ـ مصر، الأولى٢٠٠٣م.

(٢) معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، ص٥٥، ط. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ـ لبنان، الأولى٢٠٠٢م.

هذه الأهمية التي تحظى بها المفاجأة في تحقيق حيوية حركة السرد أكدها الدكتور« محمد غنيمي هلال » في معرض حديثه عن فاعليتها قائلاً: " والمفاجأة في سلوك الشخصيات في القصة ... جانب مهم من جوانب الصراع والتفاعل، تكتسب به الشخصيات حيويتها. وفيه يتحاشى كتَّاب القصة الحديثون التفسير والتعليل والكشف عن الجوانب النفسية التي تتحكم في سلوك الشخص، وتجعل القارئ يفهم سلفاً كل ما سيفعله إزاء الأحداث أو اتجاه الآخرين"(١)؛ فهنا يشير الدكتور« غنيمي هلال » إلى فاعلية المفاجأة في عنصر بالغ الأهمية من عناصر السرد ممثلاً في الشخصيات وسلوكها الذي تتشكل في ضوئه ملامح الصراع والتفاعل بينها تشكلاً تكتسب من خلاله قدراً كبيراً من التعقيد إزاء ما يقع لها من أحداث غير متوقعة، يظل القارئ رهينَ انتظارِ ما يقع من الشخصيات من ردود أفعال تجاه تلك الأحداث انتظاراً معززاً بالإثارة التي تتدرج مع تدرج السرد حتى النهاية، خاصة مع تحاشي الكُتاب الحديثين الإفصاح عن الحالات النفسية في سلوك الشخصيات تجاه المواقف المفاجئة والتي تزيد دون شك من إثارة القارئ؛ وبذلك تتحقق فاعلية المفاجأة على كافة مستويات العملية السردية بما تحدثه من تحولات في عناصر البناء السردي المختلفة تؤدي إلى إثارة القارئ واندماجه معها اندماجاً لا ينفك عنه إلا بنهاية السرد؛ مما يجعلها ذات أهمية بالغة في تحقيق حيوية عملية الإرسال والتلقي على السواء داخل سياقات السرد.

وهذا يؤكد بكل وضوح التعالق والارتباط الشديد بين المفاجأة وما يحدث من تحولات في البناء السردي ناتجة في أغلب الأحيان عن المفاجأة وتأثيراتها المتنوعة؛ ولذلك ارتبطت المفاجأة في نظريات التلقي بمفهوم كسر أفق التوقع الذي دعاه « ياوس » " بالمسافة الجمالية أي: المسافة الفاصلة بين الانتظار الموجود سلفاً والعمل الجديد؛ حيث يمكن للتلقي أن يؤدي إلى تغيير الأفق بالتعارض الموجود مع التجارب المعهودة؛ حيث يخيب ظن المتلقي في مطابقة معاييره

---

(١) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ص٥٣١، ط. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـــ مصر، أكتوبر١٩٩٧م.

السابقة مع معايير العمل الجديد، وهذا هو الأفق الذي تتحرك في ضوئه الانحرافات أو الانزياح عمَّا هو مألوف"[١]، وبهذا تنهض المفاجأة كنقطة فاصلة في السرد بين المتوقع واللامتوقع؛ حيث تُخَيِّب ظن المتلقي بإحداثِها ما هو مضاد لتوقعه، ومن ثَمّ تؤدي إلى انحراف الأحداث التالية لها عما هو سابق، مُسهِمةً بذلك في كسر توقع المتلقي وتحويل البناء السردي إلى مسارات أخرى غير التي كان يسير وفقاً لها قبل وقوع المفاجأة، على نحو أخَّاذ يثير ذهن المتلقي ويحمله على الاندماج مع الأحداث مترقباً ما تئُول إليه نهايتها.

وإذا كان « ياوس » قد أطلق على التحول الذي تحدثه المفاجأة في مسارات البناء السردي أفقَ التوقع فإن « إبراهيم فتحي » نص عليه صراحة بمصطلح (التحول المفاجئ)؛ حيث عرَّفه قائلاً: " التحول المفاجئ peripeteia peripety انعطاف مباغت للأحداث، وهو اتخاذ مصير الشخصية الرئيسية في الدراما مساراً عكسيًّا وانقلاب ذلك المصير"[٢]؛ فهنا جاءت المباشرة في تحديد مصطلح التحول دالة دلالة دقيقة على الارتباط الوثيق بين المفاجأة وما يقع في البناء السردي من انحرافات وانعطافات لعناصره المختلفة، ومع ذلك فإن المصطلح قد قصر التحول المفاجئ على مصير الشخصية وانقلابه انقلاباً عكسيًّا؛ مما أدى إلى إغفال العديد من زوايا السرد والتي غالباً ما تتأثر بذلك التحول المفاجئ.

هذا القصور تجاوزه الدكتور « محمد ألتونجي » في تعريفه للتحول المفاجئ؛ حيث يقول: " التحوّل المفاجئ: هو انعطافٌ مباغتٌ في الموضوعِ، أو النصِّ، أو الشخصيَّةِ الرئيسية. من شأنه أن يغيِّر من مسار النص، فيفاجأُ به المستمع أو المشاهد. قد يكون التحوّل متوقعاً أو محتملاً، كما قد يكونُ معاكساً لتصور المستمع أو القارئ. وتكمُن براعةُ الأديب في هذا التحوّل المفاجئ؛ إذ قد يبلغ القمة

---

(١) نظرية التلقي أصول وتطبيقات، د. بشرى موسى صالح، ص٤٦، ط. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ــ المغرب، الأولى٢٠٠١م.

(٢) معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، ص٨٠، ط. التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس ــ تونس١٩٨٦م.

الفنية في الأداء، أو يزلُّ زلَّة كبيرةً، فإمّا أن يُعدَّ من البارعين والمُبتكرين، أو من الفاشلين السطحيين"[١]. وبذلك تجاوز المصطلح القصور السابق تجاوزاً حقق شمولية التحول في الموضوع والنص والشخصية الرئيسة؛ مما يجعل التحول المفاجئ يحدث تأثيراً مباشراً في كل زوايا السرد وعناصره المختلفة.

تأثيراً تتحقق في ضوئه فاعلية المفاجأة والتي يقصد بها: توظيف تقنية المفاجأة في أنساق تعبيرية جمالية تثير ذائقة القارئ ومخيلته، بوصف الأدب صيغة متميزة لمعرفة العالم جمالياً، فتعمل بدورها على تنوع أساليب الكتابة الأدبية، وإثراء طاقاتها التشكيلية والدلالية.[٢]، وفي ضوء هذه الأهمية البالغة التي تحظى بها المفاجأة في سرد القصص اتجه البحث إلى دراستها في قصص « إحسان عبد القدوس » متتبعاً أنماطها وتأثيراتها الفنية في بناء القصص وعناصرها والتي تتجلى في المباحث الآتية:

(١) المعجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي، ج١، ص ٢٣٣، ٢٣٤ ط. دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان، الثانية١٤١٩ه، ١٩٩٩م.

(٢) ينظر: فاعلية التداخل الأجناسي في الخطاب القصصي، د. جاسم خلف إلياس، ص٩، ط. دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع، الموصل ــ العراق، الأولى٢٠٢٠م.

المبحث الأوّل: المفاجأة المحتملة.

تشير المفاجأة المحتملة إلى توقعها والتنبؤ بحدوثها في مستقبل السرد انطلاقاً من الممارسة الذهنية للنص السردي، والتي تُوْقِف المتلقي على إشاراتٍ ودلائلَ لفظية يَحْتَمِل من خلالها مفاجآت مرتبطة بالأحداث، ومصائر الشخصيات تنهض في السرد كنقطة فاصلة تجتمع فيها دلالات متناقضة تقدّم صورة أكثر وضوحاً، وجذباً، وتشويقاً للدلالة المقصودة في العمل القصصي؛ لذا أكَّدت « جوليا كريستيفا » أنّ " العملية المحتملة الدلالية تجميع لوحدات متناقضة ... في علاقة استبدال متبادلة أو في علاقة حصر. وبما أنّ المحتمل يلعب على انقسام الدليل إلى (دالٍّ ومدلول) فإنه توحيد للدوالِّ فوق المدلولات المغلقة: إنه يقدم نفسه كتعدُّد دلالي مُعمَّم. ويمكننا القول بأنَّ المحتمل هو التعدد الدلالي للوحدات الكبرى للخطاب"(١)، وبهذا تغدو المفاجأة المحتملة جامعة بين وحدتين دلاليتين متناقضتين: إحداهما سابقة للمفاجأة والأخرى تالية لها متحولة عن الوحدة السابقة لها، وفي ضوئهما تتحدَّد فكرة النص تحديداً فاعلاً وجاذباً للمتلقي ذهنيًّا ونفسيًّا.

وقد وردت المفاجأة المحتملة في قصص « إحسان عبد القدوس » وتنوعت صورها تنوعاً واضحاً برز من خلاله التمايز بين تلك الصور في التشكيل والتأثير على البناء السردي وعناصره المختلفة تأثيراً يمكن تجليته من خلال النمطين الآتيين:

أولاً ــ المفاجأة المحتملة بدلائلَ لفظية:

في هذا النمط يحتمل المتلقي المفاجأة في مستقبل السرد من خلال بعض العبارات الملفوظة في السرد، والتي تحمل دلالاتِ التضاد بين الشخصيات والواقع، أو بين الشخصيات نفسها؛ مما ينتج عنه تحفيز الذهن على انتظار مفاجأة تكون نتيجة لذلك التضاد، وقد برز هذا النمط في قصص «إحسان عبدالقدوس» وتنوعت

---

(١) علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، ص٥٥، ط. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ــ المغرب، الثانية ١٩٩٧م.

صوره تنوعاً كان له تأثيراتُه المختلفة في عناصر السرد، ففي قصة « القط أصله أسد »، يسرد الراوي قصة حياة نجيب عبد الله مع زوجته نوارة وما تحقق له فيها من نجاحات، فيتحدث عن تعرُّفه عليها وحبه لها قبل الزواج قائلاً: " **كان شابًّا جادًّا، متزمتاً، قاسياً في تزمته... وكانت كل عائلته تحسب حساباً لتزمته وقسوته.. كانوا يرهبونه ولكنه كان أيضاً قاسياً على نفسه .. لم يندفع أبداً في نزوة من نزوات الشباب .. ولم يأخذ أحد عليه انحرافاً في خلقه أو تصرفاته... وقد أحبّ نوارة بمجرد أن رآها عندما سكنت بجوارهم مع عائلتها في حي شبرا .. كان حبًّا صامتاً لم يحاول قط أن يعبر عنه، لا بكلمة، ولا بخطاب .. ظلَّ يرقبها في نظرات خاطفة .. شعرها الفاتح .. عيناها الملونتان .. جبينها الزكي .. قوامها الناضج وربما لاحظ أيامها كثرة خروجها من البيت .. وإطالة وقفتها في الشرفة .. ولكن ذلك لم يؤثر على قراره. وبمجرد أن استعد للزواج تقدم إليها.. لم تتردد عائلتها ولا هي**"(١).

ففي هذا النص يظهر جليًّا التضاد بين طبيعة وسلوك نجيب عبد الله الذي يقوم على التزمت والتشدّد، وطبيعة وسلوك نوارة الذي يقوم على التحرر والانطلاق، وبالرغم من ذلك فقد تم الزواج بينهما، لكن هذه العبارات الحاملة للتناقض والتضاد بين سلوك الزوجين حفَّزت ذهن المتلقي على انتظار مفاجأة في مستقبل أحداث حياة الزوجين، فيسير مع تلك الأحداث التي انتقلا فيها إلى طنطا بعد الزواج، فمارس تزمُّته عليها بشدة، تزمتاً كان مُعيقاً للتقدم والإنجاز في حياة الزوجين، وبعد عامين من زواجهما جاءت صفية ابنة خالة نوارة لتقيم معهم أياماً في طنطا، وكانت مطلقة مهرجة كثيرة الكلام، وقد رفضت الذهاب مع نوارة لزيارة زوجة الباشكاتب لتعود بعد الزيارة فتجد المفاجأة؛ يقول: "**تحاول أن تبعده**

---

(١) قصة « القط أصله أسد » مجموعة النساء لهن أسنان بيضاء، إحسان عبد القدوس، ص٥٩، ٦٠، ط. دار أخبار اليوم، القاهرة ـــ مصر ٢٠٠١م.

عنها .. الآن لا يمكن أن تبعده عنها .. مستحيل .. وكانت لا تزال تقاومه .. لا يستطيع أن يصل إليها .. وفجأة فتح الباب .. ورأى زوجته أمامه .. نوارة .."(١)

هذه المفاجأة التي جسَّدت محاولة اعتداء الزوج على عرض صفية أسهمت إسهاماً واضحاً في تحوّل طبيعة عناصر السرد مرتين؛ فبعد المفاجأة مباشرة تحولت الأحداث سريعاً إلى أحداث متوترة خرجت فيها نوارة من بيتها إلى بيت أبيها وطلبت الطلاق، ورفضت العودة إليه مع كل محاولات التذلل والتوسل، يقول: " **ومضت الشهور وهو لا يزال يتوسل .. ويتذلل .. يسافر إلى طنطا .. ويعود كل يومين أو ثلاثة ليتوسل ويتذلل..**"(٢)

وبالرغم من ذلك استمر في محاولاته حتى عادت إليه، لكنها ظلت شهوراً طويلة ترفض أن يقرَبَها، بعد ذلك تنازلت وسامحته، وهنا تتحول عناصر السرد مرة ثانية لكنه كان تحولاً شاملاً لأكثر عناصر السرد، يقول: " **أصبحت هي سيدة الموقف .. أصبح نجيب قطًّا أليفاً مستسلماً.. وأطلقت أنوثتها وذكاءها لتبنِي حياتها الجديدة الواسعة .. وقد نجحت صنعت كل هذا .. صنعت من زوجها موظفاً كبيراً .. وصنعت شقة القاهرة .. وشقة الإسكندرية .. والسيارة النصر ١٣٠٠.. ورصيد البنك..**"(٣)

فهنا تخلّى نجيب عبد الله عن تزمته وشدته المعهودة وحرَّر زوجته منها، ومنحها حريتها في تصرفاتها واهتماماتها؛ مما حقق له حياة مستقرة ناجحة متقدِّمة عمليًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا؛ وبذلك كان للمفاجأة المحتملة المتوسطة في السرد فاعليتها وأثرها القوي في البناء السردي بداية من عنوان القصة الذي تحوّل فيه الأسد إلى قط، وهو تحوّل في الطبيعة من الافتراس والشراسة إلى الألفة والوداعة، هذا التحويل حققته المفاجأة تحقيقاً فاعلاً كذلك في عناصر السرد والذي برز في تحويل الأحداث من الشدة قبل المفاجأة إلى التوتر، ثمّ الهدوء والبناء

---

(١) قصة « القط أصله أسد » مجموعة النساء لهن أسنان بيضاء ، ص٦٣

(٢) المصدر السابق، ص٦٦

(٣) المصدر السابق، ص٧٣

والتقدّم بعدها، وفي تحويل فكر شخصية نجيب عبد الله من التشدد والتزمت إلى السهولة والانفتاح الذي أعاد لنوارة حريتها المستلبة، وفي تحويل المكان من طنطا حيث أحداث التشدّد والتزمت إلى القاهرة حيث أحداث الانفتاح، والراحة، والتحرر، والهدوء، والبناء الاقتصادي، والعملي، والاجتماعي؛ مما يبرز تأثير المفاجأة القوي في أكثر عناصر السرد تأثيراً حقق التعدد الدلالي المجسد لواقع نموذج من نماذج الحياة الأسرية في المجتمع.

وفي قصة « اليوم الأخير» يعتمد « إحسان عبد القدوس » على المفاجأة المحتملة المفردة في ذروة القصة التي تتحدث فيها بطلة القصة عن سفرها مع أبيها إلى أوربا للعلاج، وانبهارها بطبيعة الحياة الأوربية، وإعجابها الشديد بالحُرية، أو بمعنى أدق التحرُّر الذي تصبو إليه وتفتقده في مجتمعها الشرقي حيث العادات والتقاليد، تقول: " **إنها المرة الأولى التي أسافر فيها إلى أوربا .. ولم أكن أعتقد أنّ في أوربا كل هذا الجمال .. إنّه جمال يوقظ أعصابي، ويفتح قلبي، ويضع بين شفتي ابتسامة دائمة تكاد تبتلع وجهي .. والهواء من حولي طري .. والشوارع مرصوفة بزهور الأوركيديه والجليول .. وأنا أكاد أطير من الفرحة..**"(١)

فالنص يظهر جليًّا اندماجها وسحرها الشديد بجمال صورة أوربا البصَرية المتمثلة في نظافة شوارعها ورصفها بالزهور على جانبيها، فضلاً عن هوائها الرقيق، وهو سحر لا يقف فقط عند الصورة البصَرية، بل يشمل كذلك الصورة الواقعية الاجتماعية والتي يمارس فيها الناس ــ وخاصة الشباب والفتيات ــ حريتهم المطلقة في الحب والتفاعل الحياتي دون قيود؛ مما دفعها إلى تخيل نفسها في هذه الحُرية وتمنِّيها أن تمارس هذا الحُب وهذا التفاعل الحياتي مع رجل أوربي غير زوجها العربي المصري، لكن حالت عاداتُها الشرقية دون ذلك، تقول: " **كنت أعلم ما أريد .. وكنت أقاوم ما أريد .. ولم أكن أقاوم بإرادتي ..**

---

(١) قصة « اليوم الأخير» مجموعة التجربة الأولى، إحسان عبد القدوس، ص٦٥، ط. دار أخبار اليوم، القاهرة ــ مصر١٩٩٦م.

ولكني كنت مدفوعة إلى المقاومة بقوة لا إرادية .. بقوة العُمر الطويل الذي عشت فيه .. فتاة محرومة من الحُب، ثُمّ زوجة محرومة من الحُب."(١)

فالنص يشير إلى أن هذه المقاومة التي وقفت حائلاً في سبيل ممارستها لحريتها كانت نابعة من فعل تعوُّدِها على فقدان الحب في واقعها الشرقي المحافظ على تقاليده الأخلاقية، سواء قبل الزواج أو بعد الزواج؛ لارتباطها برجل فرضه عليها الواقع دون أن تحبَّه، وهذا دليل ظاهر أكد تناقضها وتضادها مع زوجها، وحفَّز ذهنية المتلقي على انتظار مفاجأة في مستقبل أحداث البطلة؛ ومن ثَمَّ استمرت مقاومتها لرغبتها الجامحة في ممارسة الحُرية حتى اليوم الأخير من إقامتها في أوربا، والذي بلغت فيه رغبتها الجامحة في التحرر ذروتها التي جعلتها تضعف أمام نظرات أحد رواد المقهى الذي تجلس فيه، تقول: " **وبدأت ثورة عنيفة تجتاحني .. أريد أن أستغل حريتي .. أريد أن أستغل وحدتي.. أريد أن أمتع نفسي.. أريد مغامرة.. كل ما أحتاج إليه هو الجرأة.. الجرأة.. نعم الجرأة.. وعلى مائدة مجاورة في المقهى، رجل ينظر إليَّ ويبتسم.. مضى وقت طويل وهو ينظر إليَّ ويبتسم.. وفجأة دون أن أدري التفتُّ إليه التفاتة مباغتة، وابتسمت له ابتسامة مرسومة واسعة ليس لها معنى وتقدّم مني.."**(٢)

هذه الابتسامة المفاجئة كانت بمثابة إلان عن قبولها ممارسة التحرر الذي تصبو إليه؛ مما جعلها تنصاع لرغبة هذا الرجل الذي جذبها واقتادها إلى أطراف البلدة في بيت خشبي، فنال من شرفها وعفتها، ثمّ وضع لها بعض النقود في حقيبتها مقابلاً لما منحته إياه، وتركها وذهب في ذهول شديد منها لما اكتشفته عن هذا الواقع المؤلم المجرد من الحب النقي العفيف الذي تصبو إليه؛ مما جعلها تغيِّر فكرها تماماً عن أوربا في نهاية القصة، تقول: " **إني لا أحدث صديقاتي كثيراً عن رحلتي في أوربا.. ولا أحدِّث عنها زوجي ولا أولادي.. إني أحاول أن أنسى.. أنسى أني كنت في أوربا.."**(٣)

---

(١) قصة« اليوم الأخير» مجموعة التجربة الأولى، إحسان عبد القدوس ، ص٦٥
(٢) المصدر السابق، ص٧٠
(٣) المصدر السابق، ص٧٣

فمحاولة البطلة نسيان أوربا وإقامتها فيها دليل قوي على إعراضها التام عنها وعن حياتها التي كانت مبهورة بها في بداية القصة، وهذا بدوره يؤكد فاعلية المفاجأة في تحويل فكر البطلة عن أوربا التي أضحت فيها المرأة سلعة رخيصة تُشترَى بالنقود دون أن يكون لها مكان في الحب، وفي تحويل طبيعة أوربا من مكان مألوف محبب إلى مكان مكروه مقزز ملوث يطغى فيه الانحلال والمنكرات، هذا التحويل قصده المؤلف بالذات في هذين العنصرين من عناصر السرد لإبراز مدى تأثير الغرب على عقول وفكر أبناء الشرق في التسويق لحضارته المزيفة، وإبراز حقيقة واقع أوربا كمكان متحلل من كل القيم الإنسانية.

وفي قصة « البحث عن خيانة » تجاوز « إحسان عبد القدوس » المفاجأة المحتملة المفردة إلى المتعددة؛ حيث تروي البطلة حكايتها مع الخيانة والأسباب المؤدية إليها، فتبدأ حكايتها منذ كانت فتاة في بيت أبيها الذي كان يملأه الهدوء، والحُب، والاطمئنان؛ فالأب يُحب الأم حبًّا شديداً والأم كذلك والأولاد؛ مما يجعل البيت يسوده جو الراحة والدَّعَة والطمأنينة، لكن يتعرض البيت لاستشهاد أخيها في حرب١٩٤٨م وموت أبيها حسرة عليه، فيفقد البيت هدوءَه ويطغى عليه الحزن والضيق، ويخلِّف في قلب البطلة جرحاً كبيراً، تقول: " **كان الموت قد خلف في قلبي جرحاً كبيراً .. وجرح قلبي أصبح جرحاً في شخصيتي .. أصبحت عصبية.. ملولة. لا أستطيع أن أرتاح .. ولا شيء يريحني..**"(١)

هذا الجرح الذي خلفه استشهاد الأخ ووفاة الأب في قلب البطلة فضلاً عن الانعكاسات النفسية القاتمة المؤرقة التي طغت على جو البيت جعل البطلة تضيق بهذه الحالة السيئة، وتصبو إلى حالة الهدوء والحُب التي كانت تحياها قبل تلك الأحداث المؤرقة؛ مما جعلها تَقبَل مباشرة بأوّل خاطب يطلب الزواج منها بعد تلك الأحداث؛ رغبة في الخروج من ذلك البيت، وتكوين أسرة وبيت يشبه بيت أبيها قبل أن يفقد هدوءه وسعادته، فتزوجت منه وأنجبت ولداً وبنتاً، وبالرغم من عدم شبهه

---

(١) قصة « البحث عن خيانة » مجموعة بئر الحرمان، إحسان عبد القدوس، ص١٥٧، ط. دار أخبار اليوم، القاهرة ــ مصر، الأولى ١٩٩٧م.

بأبيها في الهدوء والحب والرقي إلا أنّها تحمّلت وتعايشت معه رغبة في الحفاظ على استقرار بيتها، لكن بعد فترة تظهر عليه علامات غير معتادة، تقول: " **بدأ يتغير.. بدأت أرى لزوجي ملامح جديدة.. لم يعد يواظب على مواعيد عودته إلى البيت .. أحياناً كثيرة يخرج في الساعة الرابعة بعد الظهر ولم تكن هذه عادته.. ثمّ لم يعد يثور للخطأ، ولا يبتكر المشاكل كما عودني.**"(١)

فالنص هنا يشير إلى تغير طبيعة الزوج المعتادة في بيته، حيث عدم الالتزام بمواعيد الخروج والعودة التي كان محافظاً عليها قبل ذلك، وتجاهُل أخطائِها التي كان يثور عليها قبل ذلك، وهذا دليل ظاهر أكَّد تناقض طبيعة شخصية الزوج وتضادها مع الزوجة، وحفز ذهنية المتلقي على تتبع الأحداث مترقباً وقوع مفاجأة بين الزوجين في مستقبل أحداث السرد، التي اتجهت فيها الزوجة بعد ملاحظة التناقض إلى الانفعال، ومن ثمّ تتبعه وسؤاله الدائم عن تأخره وعن كل ما تلحظ تغيره فيه، حتى دقَّ هاتف المنزل، تقول: " **دق جرس التليفون.. وسيدة لا أعرفها تقول لي إن زوجي على علاقة بامرأة أخرى.. وذهلت كنت حتى هذه اللحظة لا أتصور أنّ هذا يمكن أن يحدث كنت حتى هذه اللحظة لا أتصور أن زوجاً يخون زوجته.. ويخونني أنا بالذات.. إن أبي لم يخنْ أمي .. وكلمة الخيانة لم تطرق بيتنا أبداً.. وقصص الفضائح لم تطرق أسماعنا أبداً..**"(٢)

فهذه المفاجأة دلّت دلالة واضحة على انحراف الواقع وتضاده الواضح مع المثالية الأخلاقية التي نشأت وتربَّت عليها في بيت أبيها؛ مما جعلها لا تجزم بوقوع المفاجأة، وهذا بدوره دفعها إلى مواجهة زوجها للتأكد من كلام المرأة، وبعد محاولات من المواجهة والإنكار يثور ويصرح لها بالحقيقة، تقول: " **في مرة قال لي إنّه يعرفها معرفة عابرة عندما جاءت إلى مقر الشركة في بعض أعمالها.. ولكني لم أكتفِ بهذا الكلام .. فأخذت أطارده، بلساني.. بصراخي.. بالجحيم الذي**

---

(١) قصة « البحث عن خيانة » مجموعة بئر الحرمان، إحسان عبد القدوس ، ص١٥٩

(٢) المصدر السابق ، ص١٦٠

أصبّه عليه.. ثمَّ أخيراً انطلق صارخاً: – أيوه باعرفها.. وباحبها.. وحافضل أحبها.. وإذا كانش عاجبك أطلقك. وذعرت.."(١)

فتصريح الزوج لزوجته بمعرفة امرأة أخرى، وحبه لها حبًّا شديداً كان مفاجأة قوية توّلدت عن المفاجأة السابقة وأكَّدتها تأكيداً دلّ على ثبوت الفعل، لكنه لم يجرد البطلة تماماً من الثقة التي نشأت عليها؛ مما دفعها إلى رؤية خيانته بعينها رغبة في التخلص من آثار الشك؛ ولهذا لزم المؤلف توليد مفاجأة أخرى، فَطوّر الأحداث عبر تتبعها لزوجها ومكان لقائه مع تلك المرأة حتى وصلت إلى ذلك المكان، تقول: " **فتح الباب.. ورأيته.. يرتدي البنطلون وصدر قميصه مفتوح.. واندفعت كالمجنونة. ورأيتها بثيابها الداخلية.. أتدري ماذا حدث بعد ذلك؟ لقد صفعني..**"(٢)

فهذه المفاجأة تولّدت عن المفاجأة السابقة، وأكّدتها تأكيداً دلّ دلالة قطعية على تشوُّه الواقع في نظر البطلة، وهنا ينتظر المتلقي ردّ فعل قوي متوتر من البطلة، لكن البطلة نكصت على عقبها، وعاقبت زوجها بفعل الخيانة نفسه، فتطورت الأحداث التي بحثت فيها الزوجة عن الخيانة حتى وقعت في الخيانة مرّاتٍ عديدة، تقول: " **أهرب من كل خيانة .. لأبحث عن أخرى.. خيانات أشبه بحقن المورفين.. تمرضني.. وأفيق منها لأبكي.**"(٣)

من هنا اتبع المؤلف في تشكيل المفاجأة نسَق التوالد؛ حيث اعتمد على المفاجأة الأم الأولى خبر خيانة الزوج وولَّد منها مفاجأتين، توليداً أسهم في اتساع أفق السرد، وأكد تشوُّه صورة الواقع في مقابل المثالية الأخلاقية الأسَرية عبر تأكيد خبر الخيانة بالسماع والإقرار والرؤية البصرية؛ مما يجعلها أشد وقعاً وأكثر إقناعاً للمتلقي بهذا التشوُّه الخلقي المقصود في النص، هذه المفاجأة المركبة بالتوالد كان لها أثرها القوي والفاعل في البناء السردي بداية من العنوان « البحث عن خيانة»

---

(١) قصة « البحث عن خيانة » مجموعة بئر الحرمان، إحسان عبد القدوس ، ص١٦١

(٢) المصدر السابق، ص١٦٢

(٣) المصدر السابق، ص١٧٣

الذي حمل سمة التحول عن الأخلاق الحميدة إلى الذميمة، وهو تحويل حققته المفاجأة المتعددة تحقيقاً قوياً وفاعلاً في عناصر السرد حيث حوّلت الأحداث التي يسودها الالتزام بالأخلاق الفاضلة من الزوجة قبل المفاجآت إلى أحداث يطغى عليها الانحراف والخيانة؛ وتبعاً لذلك تحولت شخصية البطلة وسلوكها الأخلاقي القويم إلى شخصية منحرفة خائنة، كذلك أسهمت المفاجأة في تحويل بيت الزوجية من بيتٍ مستقرٍ هادئ إلى بيت مضطرب يسوده الخيانة والرذيلة والانحراف؛ مما يجعله غير ملائم لإخراج نشء سويٍّ فكريًّا ونفسياً محققاً بقوة فاعلية المفاجأة في تحويل عناصر السرد تحويلاً ملائماً للفكرة.

وفي ضوء ما سبق يظهر أن الدلائل الظاهرة قد أسهمت في تخفيف وطأة المباغتة في المفاجأة، وأعطت للمتلقي مساحة من الراحة الذهنية يفكر فيها تفكيراً واقعيًّا، يحتمل فيه من خلال الدلائل الظاهرة بعض الاحتمالات التي يمكن أن تئُول إليها الأحداث بعد المفاجأة، على نحو يمنحه المشاركة الفاعلة في صناعة القصة، ويحقق جذبه ودمجه بقوة في القصة، وبالتالي إقناعه بالفكرة المقصودة في القصة.

ثانياً - المفاجأة المحتملة بدلائلَ سياقية:

في هذا النمط يحتمل المتلقي المفاجأة في مستقبل السرد من خلال بعض الدلالات الضمنية التي لا يصرح بها المتلقي؛ وإنما يفهمها المتلقي من خلال مواقف الشخصيات وأحداثها، أو من السياق العام في السرد، والتي تحمل ملامح التناقض في واقع الشخصيات وطبيعته المؤطرة لحياتها وأحداثها في القصص؛ تأطيراً فاعلاً يحمل المُتلقي على إعمال ذهنه في تلك الملامح إعمالاً يئُول به إلى انتظار مفاجأة تكون مقابلة لهذا التناقض سواء بالإيجاب أو السلب، وقد ورد هذا النمط في قصص « إحسان عبد القدوس »، وكانت له تأثيراته الفاعلة في البناء السردي.

ففي قصة « وكر الوطاويط » يتحدث الراوي عن شخصية مصطفى بركات وواقعه مع فن الرسم، والذي بدأ حبه له وارتباطه به منذ الصغر واستمر معه حتى تخرَّج من الثانوية بمجموع كبير أَهَّلَهُ للالتحاق بكلية الهندسة التي دخلها رغماً عنه؛ فلم يحقق فيها نجاحاً بفعله وقصداً منه؛ إذ أهمل الدراسة فيها تماماً واتَّجه إلى

المرسم الذي أطلق عليه (وكر الوطاويط) يمارس فيه هواية الرسم بكل حرية حتى رسب برغبته؛ لأنه يرغب في الالتحاق بكلية الفنون الجميلة، وقد التحق بها رغما عن الأب والأسرة، وإن كان حقق فيها النجاح إلا أنه لم يحقق التميز لإغراق رسمه في الخيال الذي جعل رسوماته غير واضحة؛ ومن ثمّ لم تحظَ بالقبول، وبعد تخرجه بحث عن وظيفة فعمل معلماً للرسم في مدرسة خاصة لكن بعد فترة طردته المدرسة لعدم واقعيته في تعليم التلاميذ؛ فاتجه إلى العمل الحُر بالرسم وبيع اللوحات، لكنه لم يحقق أيَّ نجاح يذكر؛ لعدم واقعية لوحاته، وتوالت عليه الهزائم والفشل لكنه لم يستسلم: " **واستمر يبحث عن كسبه.. لابد أنّ هناك طريقاً لتحقيق كسب الفنان.. إن كثيراً من الفنانين يكسبون من الاتجار بفنِّهم... وهو يريد أن يتاجر لا بالاستسلام لفن مفروض عليه... بل يتاجر بالفن الذي ينطلق من عبقريته كفنان..**"(١).

ولكنه مع هذه الرغبة العارمة لم يفلح في تحقيق النجاح والمكاسب من وراء فنه الغارق في الخيال، فأوعز له صديقه بالعمل كرسام في إحدى المجلات الحكومية فعمل بإحداها لكن طبيعة الرسومات المفروضة عليه من المجلة جعلته يشعر بتكبيل حريته الفنية؛ ففكر في السفر إلى باريس من خلال بعثات الرسامين التي ترسلها المجلة لباريس للإفادة من الفن الفرنسي، وبعد محاولات سافر إلى باريس محاولاً النجاح بفنه المنطلق، ومكث فيها ثلاث سنوات لم يتحقق له فيها أي نجاح، يقول: " **وكان وهو في الطائرة يستعرض ذكريات أيامه في باريس.. لقد كانت أياماً غريبة ولم يصل خلالها إلى تحقيق أحلامه ولكنه حاول واستطاع أن يعيش غريباً ثلاث سنوات..**"(٢)

وحتى بعد عودته إلى مصر مرة أخرى استمر هذا الفشل على نحو جعل واقعَه يحمل تناقضًا واضحاً بين الرغبة العارمة في النجاح والتحديث في فن

---

(١) قصة« وكر الوطاويط »، مجموعة وكر الوطاويط، إحسان عبد القدوس، ص٣٥، ٣٦، ط. دار أخبار اليوم، القاهرة – مصر٢٠٠٩م.

(٢) المصدر السابق، ص٩١

الرسم، وبين الفشل المتكرر في النجاح وفي بلوغ غايته، وقد نهض هذا التناقض كدليل ضمني في السرد حمل المتلقي على الترقب واحتمال مفاجأة في السرد تكسر حالة التناقض والفشل المتكرر في واقع الشخصية، حتى وقعت المفاجأة في مرحلة الحلّ في الأحداث من قِبل شخصية هدى التي كانت تتردد على المجلة التي يعمل فيها البطل ترسم لوحاتٍ لها بالأجر في محاولة لالتحاقها بالعمل الحكومي في المجلة، وكانت تسيطر عليها حالة ارتياح تجاهه كما كانت تسيطر عليه، وقد التقت به بعد عودته من باريس، وبعد استمرار فشله في مصر قرر العودة مرة أخرى إلى باريس لكن تفاجِئُه هدى بقولها:

" ــ هناك حلٌّ آخر لكل ما يتعبك..

قال في لهفة: ــ ما هو هذا الحلّ..

قالت في صوت عادي لا يحمل لهجة المفاجأة:ــ أن تتزوجني..

وشهق مصطفى كأنّه تلقى طعنة اخترقت صدره..

لم يكن قد خطر على بال مصطفى أبداً أن يتزوج.."[1]

وبعد مساحة من تردد مصطفى ظهر أثر المفاجأة في السرد؛ حيث تزوج من هدى زواجاً أسهم في إحساسه بالواقعية إحساساً دفعه إلى تخليه عن خياليته المفرطة فاتجه إلى الرسم الواقعي الخالي من التعقيد، وبمساعدة زوجته هدى في الترويج لرسوماته حظي بالشهرة محققاً قدراً عالياً من الثراء والمنصب الوظيفي الرفيع، يقول: " **وأصبح مصطفى شخصية هامة تبرق في الدولة كلها.. أهم شخصية فنية.. إنه وكيل وزارة.. وأشهر رسام صحفي.. وأكثر رسام يزدحم حوله الزبائن ويدفعون الآلاف.. وهو مدعو في كل حفل رسمي تقيمه الحكومة.. زوجته هدى تُدعى معه وتتباهى به... ومصطفى نفسه كان قد وجد بيتاً في شقة فخمة بحي الزمالك.. وانتقل مع كل عائلة زوجته إليها.."**[2]

---

(١) قصة « وكر الوطاويط »، مجموعة وكر الوطاويط، إحسان عبد القدوس ، ص١٠٣

(٢) المصدر السابق، ص١١٥

وبذلك أسهمت المفاجأة المفردة المحتملة بدلائل سياقية في حلّ الأحداث إسهاماً فاعلاً في تحويل عناصر السرد من الخيالية الشاذة إلى الواقعية، وقد تبع هذا التحول تحولاً في الشخصية التي تحولت من الفكر الخيالي المتعالي عن الفهم إلى الفكر الواقعي اليسير على الفهم، وتحولت الأحداث تبعاً لذلك من الفشل المتكرر إلى النجاح والثراء والبريق والفخامة والمناصب والاستقرار، كذلك أسهمت في تحويل الأماكن المرتبطة بالشخصية؛ فتحوّل من الإقامة عند أخته وزوجها إلى الإقامة في بيت زوجته الفقير العادي، ثمَّ إلى الإقامة في بيت فاخر في الزمالك، كذلك أسهمت في تحويل لغة السرد من لغة قاتمة مليئة بألفاظ الخيبة والفشل والإدبار والقنوط إلى لغة مبهجة مليئة بألفاظ النجاح والنصر والإقدام.

وفي قصة « الساحر» يستعمل « إحسان عبد القدوس » المفاجأة المحتملة المفردة في ذروة القصة التي يتحدث فيها الراوي عن شخصية توحيدة المطلقة، والتي تتردَّد على المحكمة لمتابعة قضية النفقة والحضانة، ولم تكن تكتفي بحضور جلسات النظر في قضيتها بل أصبحت تتردَّد على المحكمة كل يوم حتى تعرَّفت على جميع العاملين في المحكمة من قضاة وموظفين وعمَّال، وكان كل الموظفين يتودَّدون إليها لجمالها وثرائها وبعضهم تقدّم للزواج منها، لكن من بين الموظفين كان محمد أفندي عبدالله لا ترفض الزواج به لو تقدم لها؛ لأنّها تعلّقت به وأحبَّته، ومع ذلك كان مُعْرِضاً عنها متأفِّفاً منها، لا يفكر في الزواج منها، يقول: " **ولكن محمد أفندي عبد الله لا يفكر في الزواج منها.. إنّه حتى لا يتقرب إليها.. ولا يحاول أن يفهم سر نظراتها إليه، وسر تودّدها، وسر نصف دستة الكرافتات التي أهدتْها له فأعادها إليها، ورفض أن يلمسها.. إنه يجلس خلف مكتبه بقامته الطويلة، ووجهه الأسمر القوي، وشاربه الرفيع المقصوص.. وينظر إليها كأنّه يستغفر الله.. ويدير ظهره لها كلّما دخلت إليه ويتأفف! إنّها تحب محمد أفندي عبد الله.. تحبه موت.. وتقضي الليل تتوجع والنهار تتوسل إليه بعينيها.. بل إنها**

تسير خلفه بعد أن ينتهي موعد العمل في المحكمة حتى تراه يدخل بيتـــه. وهـــي تعلم أنه متزوج، وله أولاد.."[١]

هذا الحُب الشديد في مقابل إعراض محمد أفندي والذي شكّل تناقضاً واضحاً في السرد بين الرغبة والإحجام دفعها لاتباع طريق السحر؛ لاستمالة قلبه لها، وبعد فترة أقبل عليها محمد أفندي محوِّلاً الإعراض والإحجام إلى إقبال، يقول: " **نظرت إليه في تردد، وهي تنتظر أن يدير ظهره لها ويتأفف.. ولكن لا.. إنّـــه يبتســـم لها.. واهتزت رموشها كأنها لا تصدق عينيها.. ولكنه يبتسم.. يبتسم لها.. وفي ابتسامته بعض الحياء والتردد، كأنه عاشق.. لقد بدأ الفأر يدور حولها.. وأقبلت عليه بكل قلبها، وبكل حرمانها الطويل، وقام يستقبلها، ويصافحها بحرارة.."**[٢]

هذا الإقبال ازداد واستمر لعدة أيام بعد ذلك، لكن هذا الإقبال في طبيعته غير مقنع للمتلقي خاصة وأنّه جاء بعد إعراض شديد من محمد أفندي، وبعد اتباع طريق السحر المطبوع على الكذب والدجل؛ مما يجعله تبعاً لهذه الأدلة السياقية يسير مـــع السرد مترقباً ومنتظراً مفاجأة تنهي حالة التردد في السرد بين الرغبـــة والإحجـــام والإقبال، حتى صرح محمد أفندي لتوحيدة أنه يقصدها في حاجة له فتهللـــت ظنًّـــا منها أنه يريد التقدّم للزواج منها، وبعد التردد في التصريح بحاجته دعتْه للغداء في بيتها وظلَّت في ليلتها تحلم بالغد الذي يأتي فيه محمد أفنـــدي ويطلبهـــا للـــزواج، وأعدَّت في اليوم التالي الغداء وأعدّت نفسها لاستقباله، حتى جاء وتنـــاول الغـــداء وجلسا بعد الغداء طلبت منه أن يعرض حاجته التي كان يقصدها؛ فيعلن المفاجـــأة في ذروة الأحداث؛ حيث صرح لها أنه يريد أن يقترض منها بعض المال لشـــراء الدواء لزوجته، يقول: " **وتعجلت الست توحيدة: ــ اطلب يا اخويا.. اطلب ياســـي محمد.. اطلب وانت مطمن.. وقال محمد افندي كأنه يزفر آخر أنفاسه:**

---

(١) قصة « الساحر »، مجموعة التجربة الأوّلى، إحسان عبد القدوس، ص١١٤، ١١٥

(٢) المصدر السابق، ص١١٦

ــ كنت عايز أطلب منك عشرة جنيه سلف، علشان أشتري الدوا لمراتي.."[١]

وبعد هذا الطلب المفاجئ لتوحيدة ظهر أثر المفاجأة سريعًا في السرد؛ حيث اكفهرَّ وجهُها وغضبت ورفضت إقراضه، وتقدمت ببلاغ في الساحر بحجة ابتزاز أموالها وفي محمد أفندي بحجة الرشوة يقول: "**وابتعدت توحيدة عنه، وقالت في حدّة ــ وكنت فاكرني بنك رهونات ولا إيه ياسي محمد.. ما يتعزش يا اخويا.. مفيش يادلعدي.. عن إذنك أصلي لازم أنام بعد الغدا.. وفي اليوم التالي كتبت الست توحيدة بلاغين.. بلاغ للبوليس ضد رجل يرتدي ثياب قسيس ابتز أموالها باسم السحر.. وبلاغ لرئيس المحكمة الشرعية بأنّ محمد أفندي عبد الله كاتب المحكمة طلب منها رشوة عشرة جنيهات!!.**"[٢]

وبذلك كان للمفاجأة المحتملة في موقعها من الذروة أثرها القوي والفاعل في البناء السردي بداية من العنوان « الساحر» الذي حمل سمة الخداع وتحويل الحقائق، كذلك كان لها أثرها في تحويل عناصر السرد فحوّلت أحداث القصة من الرغبة واللهفة ولوعة الانتظار من قبل توحيدة إلى أحداث الغضب والابتعاد، وتبعاً لذلك أسهمت في تحويل مشاعر شخصية توحيدة من الحُب إلى الكره والنفور، ومن الإقبال على السحر إلى الانقلاب على الساحر، كذلك أسهمت في تحويل طبيعة الزمن فبعد أن كان يمرّ بطيئاً في انتظار طلب الزواج منها تحول إلى السرعة الشديدة التي لازمت التوتر بعد المفاجأة بإنهائها الجلسة سريعاً وتقدمها ببلاغ ضده وضد الساحر في اليوم التالي، كذلك تحوّلت ألفاظ اللغة من ألفاظ الحُب، والدلال، والنعومة قبل المفاجأة إلى ألفاظ القسوة، والتوتر، والنفور بعد المفاجأة؛ وبهذا كان أثر المفاجأة السريع ملائماً لطبيعة الموقف المتوتر وكاشفاً عن الصدمة الكبيرة التي لفّت الشخصية على نحو أضفى على البناء السردي حيوية وفاعلية عكستها حركة التحول في عناصر السرد المختلفة.

---

(١) قصة « الساحر »، مجموعة التجربة الأوّلى، إحسان عبد القدوس ، ص١٢٠

(٢)المصدر السابق ، ص١٢١

وفي قصة « كل هذا الحُب » فَارَقَ « إحسان عبد القدوس » الإفراد في المفاجأة المحتملة بدلائل سياقية إلى التعدد؛ حيث يسرد محمد حكايته مع حُب صفية التي تَسكن في حي حدائق القبة الذي يسكن فيه السارد منذ الطفولة المبكرة ــ حيث اعتاد رؤيتها واللعب معها ــ حتى سن متقدم، وفي هذا الامتداد الزمني يسرد ما تعرض له حبهما من أحداث وتقلبات مختلفة معتمداً في هذا السرد على عدة مفاجآت محتملة بدلائلَ سياقية كان لها دورها الفاعل في تحويل طبيعة السرد، وفي إشاعة جو من التشويق، والإثارة، والاندماج مع الأحداث، فقد بدأ تقاربهما ــ وهما صغارٌ ــ هادئاً بريئاً جميلاً حتى تقدّم العُمر بهما إلى نحو الثالثة عشرة والخامسة عشرة بدأت تظهر معالم الحب لديهما، وتبعاً لذلك برزت في السرد معالم الخوف والقلق والتوتر من جانب محمد بسبب ما يلحظه من سرعة نُضج صفية حتى بلغ هذا الخوف حدّ الثورة في وجه صفية حين رأى حاجبيها مستويين لتيقنه من نُضجها، يقول: "**وقد عرفتُ الآن أني أُحب صفية. ولكنه ليس الحُب الذي يعذبني.. إنه شيء آخر. شيء ربما كان داخل الحُب، وربما كان خارجه. وكان هذا الشيء يتطلب كلّ إرادتي، إرادتي الفجة الصغيرة لأقاومه.. وكلّما شعرت بحاجتي لبذل مجهود أكبر في المقاومة، انتابني شعور غريب بالخوف.. نعم الخوف.. لا أدري من ماذا.. ولكن بدأت تمرُّ عليّ فترات كثيرة أشعر فيها بهذا الخوف.. الخوف على حُبي. وفي هذه السن.. وكنت في الخامسة عشرة، وصفية في الثالثة عشرة.. لاحظت لأوّل مرة أنها قد بدأت تسوي حاجبيها بالملقاط وثُرتُ على غير عادتي، وصرخت فيها:ــ إيه اللي عاملاه في حواجبك ده؟.**"[1]

هذا الخوف الشديد والثورة على ملامح النُضج في صفية يضع أمام المتلقي دليلاً ضمنيًّا يجعله يركز انتباهه في سرعة نُضج صفية، واقترابها من الزواج في مقابل حاجة محمد إلى سنوات كثيرة لإنهاء مراحله الدراسية، وتكوينه ثروة تُمكِّنه من الزواج؛ مما يجعله يحتمل وقوع مفاجأة في السرد، ومن ثمّ تطورت علاقتهما

(١) قصة « كل هذا الحُب »، مجموعة علبة من الصفيح، إحسان عبد القدوس، ص٤٧، ٤٨، ط. دار أخبار اليوم، القاهرة – مصر١٩٩٩م.

في السرد إلى اعترافهما بالحُب واستعاضتها عن الحضور إلى منزله بالخطابات في دلالة على تخطِّي مرحلة الطفولة واحترام التقاليد، واستمرت الأحداث على هذا النحو من الحُب والهدوء حتى وقعت المفاجأة بخطبة صفية لرجل غير محمد يكبرها بأربعة عشر عاما، يقول: " **وكنت في الثامنة عشرة، وصفية في السادسة عشرة، عندما خُطِبت، خُطِبت صفية إلى رجل يكبرني باثني عشر عاما، ويكبرها بأربعة عشر عاماً. وتلقيتُ الخبر في استسلام عجيب، كأنه حدث كنت أنتظره منذ زمن طويل.. ربما منذ ولدت.. وكان إحساسي بانتظاره مختبئاً في منطقة اللاشعور... وكانت التقاليد الاجتماعية متمكنة منها ومنِّي إلى حدّ الإيمان.. كالإيمان بالموت.. فلم نحاول أن نثُور، كما لا يثور الناس على الموت.. ولم نحاول أن نهرب كما لا يهرب الناس من الموت.**"(١)

فهنا حمل النص المفاجأة وأثرها ومبررات ذلك الأثر الذي خلا من التوتر والثورة ضد الأهل التي يتوقعها القارئ، وساده الاستسلام الذي برَّره بالانصياع للتقاليد الاجتماعية المتوطدة في المجتمع، والتي تُقرر زواج البنت في وقت مبكر لأقرب مُتقدّم يملك مقومات الزواج دون اعتبار لعمره، وهو مُبرِّر قوي يعكس قوة التقاليد وقدرتها على توجيه العقول وحملها على إقرار الزواج المبكر للبنات دون النظر إلى حاجاتها العاطفية والفكرية لها.

لذلك أسهمت المفاجأة في افتراق حياة الشخصيتين وأحداثهما؛ فتزوجت صفية وسافرت مع زوجها إلى إنجلترا، واستمرت أحداث حياة محمد في هدوء فأكمل مراحله التعليمية حتى حصل على بكالوريوس الهندسة وعمل مهندساً في إحدى الشركات، ومع كل السنوات التي مرّت على فراقهما والتي بلغت عشر سنوات لم يتغير حب صفية في قلبه، بل ظل ينتظرها بين الحين والآخر، يقول: " **إني أعيش في انتظارها كل يوم.. ليس انتظاراً.. ولكنه انتظار يسري في هدوء خلال أعصابي.. كما تتردد أنفاسي. انتظار حلو هادئ مستسلم.. وكلما دق جرس الباب**

(١) قصة « كل هذا الحُب »، مجموعة علبة من الصفيح، إحسان عبد القدوس ، ص٥٢، ٥٣

مرَّ بي خاطر سريع.. إنّها قد تكون صفية.. وكلما دق جرس التليفون رفعت السماعة بلهفة فقد تكون صفية."(١)

هذا الانتظار بدوره يحمل في طيَّاته دلالاتٍ ضمنيةً تجعل المتلقي يترقب حدوث مفاجأة في مستقبل السرد تكسر التناقض بين رغبة البطل وبين واقع صفية المتزوجة من غيره، والذي تخضع فيه للتعاليم الدينية ثم التقاليد المجتمعية، وبعد عشر سنوات من الفُرقة والانتظار وقعت المفاجأة التي يترقبها المتلقي، يقول: "**وفي يوم بعد عشر سنوات. دق جرس التليفون في مكتبي بالشركة. وما كدت أسمع كلمة ألو.. حتى صرخت:ــ صفية. لقد عرفت صوتها قبل أن تتكلم وبعد عشر سنوات من الصمت. وقلنا في التليفون كلاماً كثيراً مرتبكاً، كأننا كنا نحاول في هذه اللحظات أن نستردَّ كل ما فاتنا من كلام خلال عشر سنوات.. ومن ضحكات.. ومن عتاب.. واتفقنا ببساطة على اللقاء في مقهى هادئ منزوٍ في شارع الهرم...إنها كانت معي بالأمس. ويدي في يدها. ونتكلم. لم تترك يدي يدَها. ولم نكفّ عن الكلام. وأصبحت تتصل بي كل صباح بالتليفون. وعشت في كل تفاصيل حياتها. وعاشت في كل تفاصيل حياتي."**(٢)

فمفاجأة اتصال صفية هنا كسرت التناقض والتعارض بين رغبة اللقاء وموانعه الشرعية والاجتماعية، وأزالت فُرقة الشخصيتين التي سبَّبتها المفاجأة الأولى إزالة محدودة في دلالة على بقاء الحُب، ونقائه، وصفائه في قلب الشخصيتين؛ حيث استمرت الأحداث على هذا النحو من لقاءات الشخصيتين، ومهاتفتهما، وتحاورهما، واهتمام كل منهما بتفاصيل حياة الآخر دون أن يعتدي على خصوصيتها في مسار سردي كبير حمل دلالات ضمنية ناتجة من اللقاء والاهتمام المستمر المؤكد لبقاء الحُب، تجعل المتلقي يترقب من خلالها حدوث مفاجأة في السرد يمكن أن تؤثر في هذا الاهتمام بالإيجاب أو السلب، وبعد عشرين عاماً في ذلك المسار السردي يتحقق احتمال المتلقي وتقع المفاجأة، يقول: " **كم**

---

(١) قصة « كل هذا الحُب »، مجموعة علبة من الصفيح، إحسان عبد القدوس، ص٥٦

(٢) المصدر السابق، ص٥٧، ٥٨

مضى؟ عشرون عامًا. أصبحت في الثامنة والخمسين من عمري، وصفية في السادسة والخمسين واتصلت بي بالتليفون وصوتها يرتعش. لقد مات الزوج. وكنت أول من تبلغه النبأ كعادتها.. وحزنت صفية على زوجها حزنا عميقا صادقاً. وحزنت معها.. حزناً حقيقيًّا لا رياء فيه."(١)

هذه المفاجأة التي حققها موت زوج صفية تفرض في ذهن المتلقي إتاحة الفرصة لارتباط محمد وصفية بالزواج بعد زوال موانعه الشرعية والاجتماعية، وهي فرضية قوية ملائمة لأحداث الاهتمام وبقاء الحب وقوته بينهما، وقد أكد هذه الفرضية طلب محمد الزواج من صفية بعد ذلك، لكن جاء الأثر مخالفاً لهذه الفرضية، يقول: " **قالت: ــ أنا خايفة يا محمد.. خايفة على حبنا من الجواز.. مش عارفة ليه.. بعد ده كله، نبتدي حاجة جديدة. وفي الواقع أنّي كنت أشاركها نفس الخوف.. ونفس التردد. لقد عاش حُبنا طويلاً، واكتسب عادات مُعينة، وطريقة للتعبير عن نفسه.. وارتقى بنا إلى أعلى قمم السمو.. قمم أعلى من كل القمم التي وضعها المجتمع للحياة الفاضلة.. وربما لو نزلنا بحبنا إلى تقاليد المجتمع، لفقد روعته.. ولم نتزوج.. أصرت صفية على ألا نتزوج."**(٢)

هذه المخالفة في أثر المفاجأة لفرضية المفاجأة كانت مخالفة فاعلة قصدها المؤلف بالتحديد لترسيخ طهارة الحُب ونقائه وسموه وارتفاعه عن مجرد الحاجات المادية الجسمانية للفرد؛ مما يجعله يتجاوز العوائق ويحظى بالاستمرارية في كل الظروف؛ لذلك استمر هذا الحُب حتى ماتت صفية وبقي محمد على أمل لقائها في الجنة.

وبذلك أسهمت المفاجأة المحتملة المتعددة إسهاماً فاعلاً ومؤثراً في البناء السردي بداية من العنوان « كل هذا الحُب » الذي يشير في طياته إلى مسار طويل في الحب تصحبه التحولات السببية والتي حققتها المفاجآت تحقيقاً فاعلاً ومؤثراً في عناصر سرد القصة، حيث أسهمت المفاجأة الأولى في تفريق أحداث حياة

---

(١) قصة « كل هذا الحُب »، مجموعة علبة من الصفيح، إحسان عبد القدوس، ص٦٠

(٢) المصدر السابق، ص٦١، ٦٢

الشخصيتين وأماكنهما بعد الاجتماع في دلالة على تأثير التقاليد في إعاقة الحُب، وأسهمت المفاجأة الثانية في تطوير حركة السرد من افتراق أحداث الشخصيتين إلى اجتماعها مرة أخرى في دلالة على قدرة الحب على تجاوز العوائق، وأسهمت المفاجأة الثالثة في تخليص أحداث الحُب من المادية إلى السمو والرقي والنقاء الروحي ومن المحدودية الزمنية إلى الاستمرارية في بناء سردي قوي نهض بتجسيد فكرة الحُب النقي التي قصدها المؤلف.

من هنا كان للدلائل السياقية دورُها الفاعل في تخفيف وطأة المباغتة في المفاجأة، وأضفت عليها عمقاً كبيراً يكدّ الذهن، ويحمله على التفكير الدَّءُوب في المفاجأة، ومسارات السرد التالية لها تفكيراً يمنحه القدرة على استنتاج مسارات متعددة تفتح أفق الفكرة، وتثريه بما يقدمه من مضامينَ تمَسُّ زوايا مختلفة في الفكرة بتقنيات فنية فاعلة في ثراء الفن.

المبحث الثاني: المفاجأة العكسية.

المفاجأة العكسية هي الأمر المباغت الذي يصيب المتلقي على حين غِرة دون أن يسبقه إشارات أو دلائل تنبه إلى احتمال وقوعه في مستقبل السرد؛ مما يصيبه بالدهشة والتعجب الذي يختلف في السرد باختلاف طبيعة الأمر المباغت بين الإيجابية والسلبية، ويختلف تبعاً لذلك أثره الذي لا ينفك عنه بين الاحترام والاحتقار للأمر المباغت؛ لذا " فإن هذين الانفعالين ليسا سوى نوعين من التعجب، لأننا حين لا نتعجب إطلاقاً من عظمةِ أو صِغرِ غرضٍ ما فإننا لا نجعل منه مشكلة أكثر مما يملِي علينا العقل بأن ننفعل، وبذلك فإننا نحترمه أو نحتقره عندها دون انفعال"(١). فحدوث الانفعال تجاه الأمر المباغت يرتبط ارتباطًا وثيقًا بحدوث التعجب، وبدونه يفقد الأمر المباغت قوته في تحريك انفعال المتلقي؛ فيغدو النظر إليه بالاحترام أو الاحتقار أمراً سطحيًّا مجرداً من الانفعال مما يفقده فاعليته وتوهجه في النص.

وقد ورد هذا النوع من المفاجآت في قصص « إحسان عبد القدوس»، وتردَّد بين ثلاثة أنماط أحدهما الحدث المفاجئ العكسي، وثانيهما الشخصية المفاجئة العكسية، وثالثهما الفكرة المفاجئة العكسية، وتنوعت مواضعهم وآثارهم في بناء القصص تنوعاً واضحاً يمكن إيضاحه على النحو الآتي:

أولاً ـ الحدث المفاجئ العكسي:

وهو ذلك الفعل الذي يعبِّر عن واقعة مباغتة مفارقة لما قبلها من الوقائع، تثير الدهشة والاستغراب لمناقضتها طبيعة الأحداث السابقة عليها في السرد؛ لذا يمكن تحديده " بأنّه لعبة قوى متواجهة أو متحالفة، تنطوي على أجزاءٍ تشكِّل بدورها حالاتٍ محالفةً أو مواجهة بين الشخصيات"(٢)، ينتج عنها تأثيرات متنوعة في البناء السردي وعناصره المختلفة في العمل القصصي.

---

(١) انفعالات النفس، رينه ديكارت، ترجمة: جورج زيناتي، ص٩٥، ط. دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الأولى١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

(٢) معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، ص٧٤

وقد برز هذا النمط في قصص « إحسان عبد القدوس » واختلفت مواضعه وطبيعته وتأثيراته في عناصر السرد من قصة لأخرى اختلافاً تَحدَّدتْ في ضوئه فاعليته في البناء السردي.

ففي قصة « قبل الطلاق » يعتمد « إحسان عبد القدوس » على الحدث المفاجئ العكسي انعكاسي الأثر؛ حيث يحكي البطل حكايته مع زوجته قمر، فيذكر حبَّه لها وزواجه منها رغماً عن أهله، فيقول: " **أحببت قمر.. وأنا رجل طيب.. قلبي على كفي.. أحب بسهولة.. والحب عندي ليس إلا طريقاً للزواج.. للبيت العائلي السعيد.. وتزوجت قمر.. خاصمت أهلي كلهم، كي أتزوجها.. وصنعنا بيتاً سعيداً لا يمكنك أن تتصور مدى السعادة التي عشت فيها بعد الزواج.. أصبحت كل دنياي هي بيتي.. بيت قمر.. وكل يوم أضيفه إلى رصيد سعادتي. كل يوم شاهد جديد على حب قمر لي، وعلى تفانيها في إسعادي.. ومرّ عام.. وأنجبنا طفلاً.. وارتفع الرصيد.. رصيد السعادة..**"(١)

فالنص يجسد صورة لحياة مثالية بدأت بالحُب وتغلغل في ثناياها بعد الزواج حتى جعلها جنة مملوءة بالحُب، والسعادة، والتفاني، والبذل من أجل تقديم كلّ ما يسعد الآخر، ويجعله يتماهى فيه شعوريًّا وفكريًّا تماهياً يجعل كل منهما يكتفي بالآخر ولا يرى غيره في عالمه من الناس، بل يجعل عَالَمَ الناس محصوراً فيه ومقصوراً عليه من جهة الشعور والاكتفاء الذاتي به، لكن بعد هذا النص الافتتاحي في القصة مباشرة يقع حدث مفاجئ عكسي يقلب هذا الحُب والسعادة به، ويدحض رؤية البطل في زوجته؛ حيث جاء شخص لا يعرفه إلى مكتبه الذي يعمل فيه مديراً للشركة، واصطحبه بحجة أن زوجته أصيبت بإغماء، وسلك به طرقاً غير معهودة للوصول إلى بيته حتى أمره أن يقف أمام بيت، يقول: " **ثم أمرني بالوقوف أمام باب البيت.. وقبل أن ننزل من السيارة، أمسك بيدي وقال في صوت خطير:ـ إنك في حاجة الآن إلى كل أعصابك.. إن زوجتك في هذا البيت، تخونك مع ابن**

---

(١) قصة « قبل الطلاق »، مجموعة بنت السلطان، إحسان عبد القدوس، ص١٧٤، ط. دار أخبار اليوم، القاهرة ــ مصر، الأولى ٢٠٠٩م.

عمها.. وذُهلتُ.. لا أدري بالضبط ماذا أحسست ساعتها.. ربما هرب مني كل إحساسي.. وانقدتُّ وراءه.. ووقفنا أمام باب شقته، وأخذ يضغط الجرس، ومرت فترة طويلة وهو لا يزال يضغط الجرس.. وفتح الباب وأطلّ منه وجه ابن عم زوجتي، ورائحة الجريمة تفوح من أعطافه وما كاد يراني حتى أخرج من جيبه مسدساً شهره في وجهينا..

وقال في غطرسة:ــ ماذا تريد؟

قلت:ــ أين زوجتي؟

قال في وقاحة:ــ زوجتك معي.. وهي في حمايتي إلى أن تصل إلى بيتها.

ثمّ أدار رأسه في داخل الشقة وصاح:ــ البسي يا قمر..

ــ وكدت أجن.. ولكن جنوني تسمَّر أمام فوهة المسدس.. ولم أدر ماذا أفعل.. ماذا أقول.

وأشار المجرم إلينا ــ أنا والرجل الذي جاء بي ــ وقال:ــ ادخلوا..

ودخلنا وفوهة المسدس تتبعنا.. وأجلسنا في غرفة، وأغلق بابها علينا.."[(١)]

إنه حادث الخيانة إذاً والذي كشف عن زوجة خائنة تجرَّدت من كل معالم الحُب والتعاليم الدينية والتقاليد المجتمعية، فلم تكن على قدر مسئولية الحُب والتقدير والاهتمام والوفاء الذي منحه لها زوجها، وأمام هذا الحادث المفاجئ المؤلم لشعور البطل جاء رد فعل البطل متردداً ضعيفاً لا يناسب حجم المفاجأة وقوتها النفسية والخُلقية؛ إذ بعد خروجه من البيت الذي وقعت فيه المفاجأة ظلّ يتساءل هل يقتلها؟ هل يبلِّغ البوليس؟ هل يطلقها؟ حتى بلغ بيته ووجدها فيه وواجهها فلم تنكر وادَّعَتْ أنه استدرجها بحجة أن أخته مريضة في المستشفى ويحتاج لوجودها معها وفعل ما فعل، لكنه لم يصدقها وبالرغم من عدم تصديقه لها ظلّ متردداً بين القتل، وإبلاغ البوليس، والطلاق. وناقش نتائج كل فعل لكنه انصرف عنها كلها حتى الطلاق الذي هو أضعفها، يقول: " **كيف أطلقها.. دون أن**

---

(١) قصة « قبل الطلاق »، مجموعة بنت السلطان، إحسان عبد القدوس ، ص١٧٦

أنتقم منها.. أنتقم لشرفي! قلت لنفسي هذا الكلام.. ولكن كان خلف هذا الكلام إحساس آخر غريب.. كنت أريد أن أنسى ما حدث.. كنت أحاول أن أقنع نفسي بأن قمر صادقة.. وأنّها مظلومة.. بريئة.. كنت أتلمَّس الأعذار حتى لا أطلقها.. لا رحمة بها، بل رحمة بنفسي.. إني أحبها، وقد كنت سعيداً معها، ثمّ هناك ابني.. ابني الذي سوف يتشرد بين أمه وأبيه. ولم أطلقها."(١)

فالنص هنا جسَّد صورة قوية للحب طغت فيها قوة الحُب على قوة التقاليد والرجولة والنخوة؛ مما جعل البطل يحاول أن يبرر فعلها وأن يلتمس لها الأعذار؛ ولذلك أحجم عن أي فعل يمكن أن يؤدي إلى افتراقه عن زوجته الخائنة إشفاقاً على نفسه من ضياع حبه وسعادته معها وتجرعه لوعة الفراق، في شكل سردي يكشف بوضوح ضعف شخصية البطل أمام قوة الحُب، وهو ضعف كان له أثره البالغ في رسم معالم خاتمة القصة ونتائجها التي جاءت عكس فعل البطل وضده، يقول: " **ثمّ.. عدت إلى بيتي في يوم، فوجدته فارغاً.. ليس فيه شيء.. لقد جاءت قمر في الصباح هي وأبوها وابن عمها.. عشيقها.. وحملوا الأثاث.. حملوا كل شيء حتى ثيابي.. وأخذو ابني.. ولا أدري ماذا أفعل.. إني لم أطلقها بعد!!!.**"(٢)

وهي خاتمة تجسد مدى هشاشة الروابط الاجتماعية التي وصلت لها الأسرة وانزواء القيم في محيطها ــ وعلى رأسها قيمة الحُب وقدرتها على تقوية الروابط بين أطراف الأسرة ــ انزواءً أدى إلى انهيار تلك الروابط أمام تعرضها لنزوة خارجية غير مشروعة، والذي سبّب تفكك الأسرة وضياع معالمها في المجتمع.

من هنا أسهم الحدث المفاجئ العكسي إسهاماً فاعلاً في البناء السردي وفي تحويل عناصره تحويلاً ملائماً للفكرة، حيث حوّل طبيعة أحداث السرد من الهدوء، والسكينة، والاستقرار، والتقدم، والرقي في محيط أسرة تنعم بالحُب والدفء العاطفي إلى سرد يعلوه الخيانة، والسقوط في براثن الرذيلة، والتفكك،

---

(١) قصة « قبل الطلاق »، مجموعة بنت السلطان، إحسان عبد القدوس، ص١٧٨

(٢) المصدر السابق، ص١٧٨

وضياع المعالم، وسوداوية المشهد في المحيط نفسه نتيجة تحلل أحد قطبيها من الروابط ومن القيم الدينية والاجتماعية، وأسهمت في تشكيل ثنائية ضدية تحويلية بين الزوج المتمسك بقيم الحُب وبين الزوجة المتحولة عنها، وهو تحويل قصده المؤلف بالذات لكشف اضمحلال القيم في الأسرة وأسباب تهتك أواصرها في المجتمع، والذي أكدته الخاتمة بقوة من خلال فعل الاستيلاء على محتويات البيت من الزوجة وأهلها المتجرد من الأخلاق والمشاعر تجرداً تاماً.

وفي قصة « كان يعيش مع لسانه » اعتمد « إحسان عبد القدوس » على الحدث المفاجئ العكسي مرسخاً لقوة التقاليد المجتمعية وطغيانها على قوة الحُب؛ حيث يتحدث عن بطل القصة مصطفى عبد القادر المُصاب بمرض الثرثرة والاستسلام للسانه، يقول: " **كان ضعف مصطفى عبد القادر في لسانه.. كل أفكاره وأحاسيسه تنعكس على لسانه.. يفكر بصوت مسموع.. ويحس إحساساً مسموعاً.. ويتكلم.. لا يستطيع أن يتوقف عن الكلام.. وقد تجده جالساً وحده وهو يتكلم بصوت مسموع.. إنه في الواقع يفكر وأفكاره تعبر عن نفسها بلسانه.. وقد يجلس ليقرأ كتاباً أو جريدة ينطلق كل ما يقرأه على لسانه.. يقرأ بصوت مسموع.. وإذا جلس ليكتب خرجت كل كلمة يكتبها من فوق لسانه... ولا يدري متى أصيب بمرض الاستسلام للسانه.. ربما منذ كان طفلاً يعلمونه القراءة بصوت مسموع.. باء فتحه با.. سين ضمة سو...**"(١)

فالصوت المسموع والثرثرة بذلك أصبحت لازمة حياتية لا تنفك عن البطل في كل أوقاته ولا يحرره منها إلا النوم، ومع ذلك فهو يعيش حياة طبيعية لا يشعر فيها بأنه ثرثار ومستسلم للسانه، بل كان مجتهداً متفوقاً في دراسته وفي عمله بإحدى الشركات بعد تخرجه في كلية التجارة، حتى شغل مركزاً كبيراً في الشركة، إنما كان يشعر بهذه الثرثرة المحيطون به من أصدقائه وزملائه ويضيقون بها كثيراً، وأحياناً ينصرفون عنه قبل أن يُنهي كلامه، وبعد زواجه مثَّلت هذه الثرثرة

---

(١) قصة « كان يعيش مع لسانه! »، مجموعة آسف لم أعد أستطيع، إحسان عبد القدوس، ص١٢١، ط. دار أخبار اليوم، القاهرة ــ مصر١٩٩٦م.

عائقاً كبيراً في حياته مع زوجته أدى إلى انفصالهما بعد ذلك، يقول: " **ولم يدمْ زواج مصطفى وسعاد.. إنها لم تستطع أن توقفه عن ثرثرته ولم تعد تتحملها.. إنه يقرأ كتاب أبلة نظيرة ويناقشها في كل طبق تقدمه.. ويقرأ كتب الأزياء والمجلات النسائية ويناقشها في كل ثوب.. مناقشات.. مناقشات.. فإذا لم يجد ما يناقشه أخذ يحدثها عن عمله أو عن التاريخ أو السياسة.. وقد تفرغ كله لها.. لا يتركها أبداً ما دام ليس في عمله.. ليس لها أصدقاء يرحمونها منه بعض الوقت يتحملون عنها بعض ثرثرته.. وكانت تصرخ فيه.. اسكت.. ثم أصبحت تصرخ فيه.. اخرس... وهو أيضاً لم يعد يستطيع أن يستمر في حياته معها..**"(١)

وطلقها وكانت صدمة الطلاق سبباً في اعترافه بثرثرته، وبالرغم من اعترافه إلا أنه لم يستطع التوقف عنها، لكنه أصبح حريصاً على عدم مضايقة الناس بها فضلاً عن تخيُّره للناس الذين يجلس إليهم معتقداً أنهم الأكثر تحملاً لثرثرته، وقد استمر سنوات بعد طلاقه من سعاد عازفاً عن الزواج لاقتناعه بأنّه لن يجد المرأة التي تعيش معه وتتحمل ثرثرته، حتى أرسلته الشركة إلى كوريا لعقد صفقة لاستيراد السمك، وفي أحد أيام الإقامة هناك دُعي لقضاء سهرة في أحد أماكن السهرات الكورية، فالتقى في ذلك المكان بباولا تاو إحدى العاملات فيه، فوجد فيها كل ما يتمناه في المرأة تتحمل ثرثرته وكلامه الكثير ولا تضيق به، بل تسعد كل السعادة معه، يقول: " **انطلق بكل طبيعته الثرثارة يتكلم.. وهي لا تقاطعه.. ويسألها ولا تجيب.. إنها لا تفهمه.. إنه يتحدث إليها بالإنجليزية وهي لا تعرف الإنجليزية.. لا تنطق بأي لغة إلا لغتها الكورية التي لا يعرف منها كلمة.. ورغم ذلك انطلق يتكلم في صوت لا تسمعه إلا باولا تاو.. وهو سعيد.. أن يتمتع بكل شهوة الكلام.. وهي لا تضيق ولا تقاطعه...**"(٢)

---

(١) قصة « كان يعيش مع لسانه! »، مجموعة آسف لم أعد أستطيع، إحسان عبد القدوس، ص١٢٤

(٢) المصدر السابق، ص١٢٧

لذلك أحبّها وقضى معها كل الوقت في كوريا حتى حان وقت العودة إلى مصر قرر أن يتزوجها ففرحت فرحاً شديداً واستأذن مكان عملها فوافق على الفور وأعفاها من تقاليده، وعند عودتها معه إلى الفندق استعداداً للزواج والرحيل إلى مصر وقع حادث عكسي مفاجئ من باولا تاو؛ حيث تحدثت مع البطل بلغة إنجليزية سليمة، يقول: " **قالت بلغة إنجليزية سليمة:ــ إنها مفاجأة لم أكن أتخيلها أبدا.. أتزوج.. وأعيش في مصر.. وقاطعها مصطفى صارخاً:ــ إنك تتكلمين الإنجليزية.. قالت باولا تاو في بساطة وقد أصبحت ابتسامتها الهادئة الخجولة ابتسامة مرِحة مبسطة:ــ نعم.. إني أتكلم الإنجليزية.. إن دراستي كانت بالإنجليزية.. لقد درست الاقتصاد السياسي في الجامعة. وصرخ مصطفى وضَربةُ المفاجأة تنطلق من عينيه:**

ــ ولكنكِ لم تتكلمي الإنجليزية أبدا من قبل.. لقد خدعتيني.."(١)

هذا الحوار يصوِّر قوة المفاجأة والصدمة وشدة وقعها على البطل، وقد استمر الحوار على هذا النحو من التوتر والمعارضة الشديدة من قِبل البطل لهذه الخديعة التي وقعت من باولا تاو، في شكل سردي يكشف بوضوح قوة شخصية البطل أمام قوة الحُب وتمسكه بتقاليده الشرقية المناهضة للخداع والخيانة، وهي قوة كان له أثرها البالغ في رسم معالم خاتمة القصة ونتائجها التي جاءت موافقة لانفعالات البطل وتوتره الشديد، يقول: " **وارتفع صوت مصطفى يصرخ: لا..لا.. لست زوجك.. لن أتزوجك.. ابعدي عني.. ابعدي.. ثمّ انطلق خارجاً من الغرفة وجرى إلى مكتب شركة الطيران ليحجز له مقعداً إلى مصر.. مقعد واحد له وحده..**"(٢)

وهي خاتمة تكشف عن تغلغل التقاليد الاجتماعية الشرقية في نفس البطل وفكره ومشاعره، تغلغلاً منحه القوة البالغة التي مكنته من الوقوف بكل حزم أمام

---

(١) قصة « كان يعيش مع لسانه! »، مجموعة آسف لم أعد أستطيع، إحسان عبد القدوس ، ص١٣١

(٢) المصدر السابق، ص١٣١

فعل الخديعة ورفضه رفضاً تامًّا وعدم ضعفه أمام سلطة الحُب ومؤثراته الفاعلة في السيطرة على المُحب وإخضاعه لمسارها النفسي والعاطفي.

من هنا أثَّر الحدث المفاجئ العكسي تأثيراً قوياً وفاعلاً في عناصر السرد حيث حوّل أحداث السرد من الانطلاق والحرية في ممارسة الكلام قبل المفاجأة إلى التوتر والضيق والنفور رفضاً للخديعة والكذب، كذلك أسهم في تحويل طبيعة البطل من الهدوء والحُب والسكينة إلى التوتر والنفور والبغض، وفي تحويل طبيعة الفتاة الكورية من محبوبة مطلوبة من البطل إلى منفرة مرفوضة منه، وهو تحويل قصده المؤلف لتجسيد قوة التقاليد الاجتماعية وقدرتها على الحط من سلطة الحُب ومجابهة مؤثراته القوية في عواطف أفراد المجتمع.

وفي قصة « إلى أين تأخذني هذه الطفلة » اعتمد « إحسان عبد القدوس » على الحدث المفاجئ العكسي المتعدد مُرسِّخاً لقيمة حُب الأطفال والرحمة بهم في محيط الأسرة والمجتمع؛ حيث يتحدث السارد عن الطفلة فوزية التي يعمل أبوها رجلَ أعمالٍ وأُمّها مُتوفاة، فجاء بسميرة إحدى شخصيات القصة الرئيسة لتعمل جليسة لها، وقد وقع الحدث المفاجئ العكسي الأول في مقدمة القصة مباشرة في أول مشهد يسرده في مطلع القصة؛ حيث يقول: " **كانت سميرة جالسة كعادتها تقرأ كتاباً بينما البنت الصغيرة فوزية جالسة بجانبها تشخبط بأقلام الألوان المتعددة، تحاول أن ترسم شيئاً لا تدري هي نفسها ماذا ترسم.. وفجأة قفزت البنت الصغيرة وألقت بنفسها على سميرة كأنّها تختبئ بين أحضانها وصاحت سميرة:**

ــ جرى إيه يا فوفو.. قالت فوزية كأنّها تهمس:ــ بابا وصل..

ولم يكن الأب قد دخل عليهما بعد، ولكن الصغيرة فوفو قد أحست بوصوله ربما من صوت باب

الشقة أو من وقع خطواته، أو ربما تعودت أن تشم رائحته، أو أن مجرد اقترابه منها حتى دون أن تراه يثير فيها كل هذا الخوف.."[1]

---

(١) قصة « إلى أين تأخذني هذه الطفلة؟ »، مجموعة لمن أترك كل هذا؟!، إحسان عبد القدوس، ص٧، ط. دار أخبار اليوم، القاهرة – مصر، الأولى٢٠٠٨م.

فالحدث المفاجئ هنا كشف بوضوح خوف الطفلة الشديد من أبيها والناتج عن الحدة البالغة التي يعاملها بها في تربيتها، وهنا لا يقع التحول في السرد بطريقة مباشرة سريعة، بل أخذ شكل التدرج عبر الأحداث والمواقف المختلفة؛ إذ إن سميرة اعترضت على هذا الأسلوب في تربيتها، بل واجهت أباها في مواقفَ عديدةٍ، ووقفت في وجهه معترضة على تلك الأساليب في التربية، يقول: " .. **دخلت البيت وجدته في مواجهتها جالساً في الصالون الكبير يقرأ الصحف.. ونظر إليها في دهشة ثمّ رفع يده ينظر في ساعته. وقالت في صوت متحفز لأي خناقة:ــ لقد جئت مبكرة قبل الموعد حتى أحمي فوفو..**

قال ووجهه المتجهم لا يخفي دهشته:ــ تحميها من ماذا؟

قالت في حدة:ــ من الخوف الذي تربيها عليه.. لعلك تصعد إليها وتضربها، كما ضربتها بالأمس.. يا رحمي بيه أحب أن أقول لك إني لا أؤمن بفرض الخوف على الأطفال لتربيتهم.. المفروض أن تعتمد في التربية على الإقناع.. وقاطعها دون أن يبدو عليه الغضب:ــ إن الخوف هو أضمن طريقة للإقناع.. إن المقتنع بالله يخافه أكثر مما يخافه الكافر به.. قالت وهي لا تزال محتدة:ــ هذا الكلام رجعي.. إن الإقناع لا يحتاج إلى الخوف.. بالعكس إن الإقناع مع الخوف يسمى الاستسلام.. إنك تريد من فوفو أن تستسلم لك، وهو ما يدفعها إلى أن تستسلم لغيرك.. لكل ما يخيفها.."(١)

فالنص هنا جسد مواجهة فكرية واضحة في تربية الأطفال بين فكر الأب الريفي المتشدِّد تشدداً نابعاً من الانكفاء التام على العادات الريفية دون تحليلها وتخيُّر الأنسب والأقوم لتربية الأطفال، وبين فكر المُربِّية الحضري المتمرسة بتربية الأطفال والعالمة بأساليبها المختلفة والمميزة فيها بين النافع والضار لهم تمييزاً جعلها تُعارِض والد الطفلة في أسلوب التخويف الذي ينتهجه في تربية الطفلة كونه أسلوباً ضارًّا في تكوينها النفسي والسلوكي، "وهذه التعرية للشر.. هي الطريقة

---

(١) قصة « إلى أين تأخذني هذه الطفلة؟ »، مجموعة لمن أترك كل هذا؟!، إحسان عبدالقدوس، ص٢٧

التي اتبعها القرآن الكريم في إقناع الجاهلية بنبذ تقاليدها وعاداتها، وهجر شرورها وآثامها.."[١]

وقد سار السرد على هذا النحو من المواجهة والمجادلة التربوية في مواقفَ تصاعديةٍ تطورت معها شخصية والد الطفلة تطوراً إيجابيًّا من الشدة والانغلاق التام على العادات في التربية إلى الانفتاح على التصورات التربوية الحضرية في التربية، حتى انتهى إلى موافقتها والقَبول بها من المربية سمر، قبولاً فاعلاً برز في حدث عكسي مفاجئ آخر للمربية سمر وللمتلقي حين طلب منها أن تبقى مع ابنته لمدة يومين سيغيب فيهم عن البيت لسفره الضروري إلى بورسعيد؛ فتعلّلت برفض أمّها لمبيتها خارج البيت كونها غير متزوجة قائلة: " **أمي لا يمكن أن توافق على أن تختفي البنت عن البيت طوال الليل إلا إذا كانت قد تزوجت.. قال رَحمي في صوت لا يبدو فيه المفاجأة وكأنه يقول ما قرره من زمن طويل:ــ لنتزوج.. اليوم سأذهب معك إلى والدتك ومعنا المأذون.. قالت سميرة وهي ترتعش من الدهشة.. ماذا تقول؟**

قال في هدوء:ــ سنتزوج.. وإن كنت أرجو إعفائي من أي حفل لزواجنا.. لن يكون معنا غريب.. وثِقِي أني سبق أن فكرت طويلاً في هذا الزواج.. لا من أجل التخلص من عبء تربية فوفو فحسب.. ولكن لأني في حاجة إلى هذا الوضع.. وكان يقول كل هذا دون أن تبدو بين شفتيه ابتسامة، ولكن نظرات عينيه فيها رجاء لها.. قالت وهي ساهمة دون أن تنظر إليه:ــ إني لا أستطيع أن أعيش خائفة.. قال بسرعة:

ــ أعرف.. أنك تعيشين بالمنطق والإقناع لا بالخوف.. قالت في صوت متردد..

ــ إذن كما تريد.."[٢]

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ج٢، ص٦٤٣، ط. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ــ مصر، الحادية والعشرون١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

(٢) قصة « إلى أين تأخذني هذه الطفلة؟ »، مجموعة لمن أترك كل هذا؟!، إحسان عبد القدوس، ص٣١، ٣٢

فالمفاجأة العكسية هنا تبرز أعلى درجات التطور الإيجابي المثمر في شخصية والد الطفلة، والذي أكده بطلب الزواج منها دالًّا على اقتناعه بتفكيرها المنطقي في معالجة قضية تربية الطفلة معالجة فكرية قائمة على المجادلة بالحجة والبراهين المنطقية، كان لها أثرها الواضح في تحديد شكل الخاتمة في القصة، والتي جاءت موافقة لتفكيرها المنطقي؛ حيث تمّ الزواج، وبعد وصولها إلى بيته كزوجة وليست مربية أشار إليها ــ بعد أن أخذت الطفلة واتجهت بها إلى غرفتها ــ أنه سينتظرها في غرفته مكانها الجديد لكنها قالت: " **لا.. سأنام مع فوفو.. كان الزواج لها ولننتظر إلى أن يصبح لك.. وأكون كأني أصبحت زوجتك لا زوجة فوفو وحدها.. ودخل غرفته وقذف بالباب وراءه يغلقه في عنف كأنّه يصفعها على وجهها.. وبدأت القصة من جديد..**"(١)

وهي خاتمة تكشف عن رسوخ التفكير المنطقي في شخصية سميرة رسوخاً جعلها تمارس ذلك التفكير مع والد الطفلة بعد الزواج منه؛ حتى تتيقن من تحوّل شخصيته عن الفكر الريفي المنغلق تحولاً حقيقيًّا وليس تحولاً مرتبطاً بطفلته وتربيتها؛ لذلك احتجبت عن النوم في غرفة نومه حتى تتأكد من مشاعره تجاهها ورغبته فيها كزوجة له وليست فقط مربية لطفلته؛ ولذلك جعل الكاتب النهاية مفتوحة حتى يشارك المتلقي في تحديد مضمونها.

من هنا ظهر أثر الحدث المفاجئ العكسي المتعدد الفاعل جلياً في عناصر السرد حيث أسهم الحدث المفاجئ الأول في مقدمة القصة في تحويل طبيعة أحداث السرد إلى أحداث يطغى عليها الجدل والتفكير المنطقي بين شخصيتين متضادتين ومتناقضتين فكريًّا وبيئيًّا، وأسهمت تبعاً لذلك في تحويل شخصية الأب تحويلاً مثمراً من الرجعية الفكرية إلى الحضرية الفكرية، ثم جاءت المفاجأة العكسية الثانية مؤكدة لهذا التحول في شخصية الأب واندماجه فيه اندماجاً أكد " ما وضعه وِلْيَمْ بليك في ذِهنِه حين كتب قائلاً: « دون الأضداد لن يكون ثمّة تقدم ». وقد كان في

---

(١) قصة « إلى أين تأخذني هذه الطفلة؟ »، مجموعة لمن أترك كل هذا؟!، إحسان عبد القدوس ، ص٣٢

مقام التمييز بين النقيض والرفض، ذاهباً إلى أن الحياة تتقدّم بفعل التناقض المثمر، وليس بفعل الإلغاء التام للضد."[١]، تناقضاً يجمع أكثر من رأي في القضية جمعاً يقوي دلالتها ويجعلها أكثر رسوخاً في ذهن المتلقي.

ثانياً ــ الشخصية المفاجئة العكسية:

وهي شخصية تصدر سلوكاً مباغتاً يظهر صورة وطبيعة باطنة مغايرة لصورتها وطبيعتها التي تشكلت في ذهن المتلقي قبل المباغتة تثير دهشته إثارة ناتجة عن التناقض الواضح بين باطن الشخصية وظاهرها، وقد ورد هذا النوع المفاجئ في قصص « إحسان عبد القدوس » وتنوعت صوره ومواضعه وتأثيراته في عناصر سرد القصص تنوعاً فاعلاً في رسم الفكرة المقصودة.

ففي قصة « زواج البحار» يتحدث البطل عن تجربته مع العمل في المِلاحة كضابط في البحرية، وتحقيقه ما كان يتخيله في الحياة البحرية قبل الالتحاق بالكلية البحرية، حيث حياة الانطلاق واللهو والشباب وما يتسم به من الصحة، والسعادة، والأناقة، والتنقل بحرية بين عواصم العالم، يقول: "**إن هذا الخيال نفسه هو الذي دفعني أن أكون بحَّاراً.. منذ صباي وأنا أحلم بالبحر.. وأحلم بالبطولات.. سأصارع بمركبي الأمواج الهائلة.. سأكتشف جزيرة الكنز... وسأحتضن البنت السمراء التي سألقاها في جَنَوة.. وأقبِّل البنت الشقراء في برشلونة.. وأرقص الفالس في لندن.. والسامبا في ريودي جانيرو.. وقد حققت لنفسي كل هذا الخيال ما عدا.. اكتشاف جزيرة الكنز!!**"[٢]

وتحقيق هذا الخيال في حياته الواقعية عَكَس صورة مبهجة سعيدة يعلوها النشاط، والإقبال على الحياة، والانطلاق بين ربوع المعمورة في سياق سردي يوحي للمتلقي بتطور الشخصية تطوراً إيجابيًّا لما تحقق لها من أسباب الراحة والبهجة النفسية، لكنه يفاجأ المتلقي مفاجأة عكسية بشخصية أخرى يحملها بين

---

(١) قضايا النقد مدخل إلى نظرية الأدب، هزارد آدمز، ترجمة: د. عيسى العاكوب، ص٢٤٣، ٢٤٤، ط. وزارة الإعلام، الرياض ــ السعودية، الأولى ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

(٢) قصة « زواج البحار»، مجموعة بنت السلطان، إحسان عبد القدوس، ص١٤٦

جنباته؛ حيث يقول: " **ثمّ فجأة.. بعد عامين من التحاقي بالبحرية.. اكتشفت أنـي إنسان تعيس.. شقي.. محروم! محروم من الحب.. وهذا الإحساس بالحرمان انتهى إلى إحساس كئيب بالوحدة.. والملل.. والفراغ.. أصبحت أحسُّ كلما وصلت إلى ميناء، أني وصلت إلى حافة صحراء... وكنت أعرف ما أحتاج إليه.. إني أحتاج إلى الحُب..**"(١)

هذه المفاجأة كشفت بوضوح عن شخصية باطنية تصبو إلى الاستقرار النفسي والعاطفي من خلال الحُب، في مقابل الشخصية الظاهرة السابقة للمفاجأة والتي يطغى عليها التحرر الأخلاقي والعربدة التي تبرزها أفعاله في المُدن التي يحطّ فيها رِحالَه، وهو أثر قريب يتبع المفاجأة مباشرة، لكن كان للمفاجأة أثر آخر بعد مساحة من السرد كشف عن تشظّي الشخصية وتنازعها بين حاجتها إلى الحُب النفسي بطهارته ونقائه، وبين الحاجة الجسمانية الحيوانية وإمكانية طغيانها على الالتزام وانفلاتها منه، هذا التنازع أظهره زواجه الذي قصد فيه الحُب والاستقرار النفسي النقي الطاهر، يقول: " **وذهبت إلى البحر.. لم أعد أشعر بالوحدة.. ولا بالفراغ والملل.. إني في كل لحظة مع زوجتي، وحياتي مزدحمة بحبي، وأحلام حُبي.. ولكني بدأت أسأل نفسي سؤالاً غريباً.. هل تستطيع زوجتي أن تخلص لي خلال غيبتي؟! إني لا أشك في حبها.. لكن الإنسان ليس كله حبّ.. إنّه جسد أيضاً.. وخواطر.. وخواطر وكيان.. ورغم الحُب، فقد لا يستطيع الجسد أن ينتظر.. وقد يملّ الكيان وحدته فيبحث عن إنسان آخر يستند إليه.. وقد تضيق الخواطر بصاحبها حتى يفرّ منها إلى مغامرة، أو نزوة، أو تسلية..**"(٢)

وقد أثّر هذا التنازع تأثيراً قويًّا على أحداث حياته؛ إذ اتجه كليًّا إلى إثبات مدى قدرة الحاجة النفسية المنخرطة في الحُب على الصمود أمام الحاجة الجسمانية الحيوانية وسطوتها على الحالة النفسية، فقرّر أن ينتظر ويصبر على الفراق ملتزماً التزاماً تامًّا بالأخلاق، ومبتعداً عن العربدة واللهو والانحراف، فغاب شهرين ملتزماً

(١) قصة « زواج البحار»، مجموعة بنت السلطان، إحسان عبد القدوس، ص ١٤٦

(٢) المصدر السابق، ص١٤٩

بالأخلاق وعاد محمّلاً بالحُب دون أن يتخلص من التنازع النفسي، وغاب ثلاثة أشهر على هذا النحو من الالتزام والعودة بالحُب، حتى غاب ستة أشهر وصبر حتى الشهر الرابع وفي الشهر الخامس طغت شهوانيته الجسمانية على حاجته النفسية؛ فانفلت من الأخلاق ووقع في مغامرة شهوانية؛ مما جعل الشك يصل إلى درجة اليقين في عدم قدرة زوجته على الصبر والاكتفاء بالحُب، يقول: "**تعذبت بخيالي وأنا أرى فيه زوجتي مع رجل آخر.. عيناها في عينيه.. شفتاها في شفتيه.. جسدها لجسده.. ولم أستطع أن أتخلص من هذا الخيال.. لم أستطع أن أقنع نفسي بأن زوجتي استطاعت أن تنتظرني! أنا لم أستطع رغم كل هذا الجهد الذي بذلته.. فكيف تستطيع هي؟.. ووصلنا إلى الإسكندرية.. وزوجتي في انتظاري على الميناء.. ورأيت في عينيها مغامرة.. نفس المغامرة التي جربتها في نيويورك... وصددت ذراعيها الممدودتين إليّ، وهمست في صوت مخنوق: أنت طالق.. وابتَعَدْت.."**(١)

وبذلك تغلّبت الحيوانية الشهوانية على حالة الحُب النفسية، وتغلب الشك على اليقين غلبة أظهرت دور شخصية البطل الباطنية المفاجئة للمتلقي في كشف حالة التنازع والتشظي والانشطار المسيطرة على البطل بين الواقعية والخيالية وبين الشك واليقين، ودورها الفاعل في البناء السردي بداية من العنوان « زواج البحار» الذي يثير الغرابة حول طبيعة البحار، وفي تحويل البناء السردي وعناصره من السطحية المجسدة للّهو والانطلاق والانفلات من الأخلاق إلى العمق القائم على مواجهة الشك باليقين من خلال التجربة بأحداث الصبر والانتظار الذي طغت عليه الشهوانية والذي أدى بدوره إلى طغيان الخيالي على الواقعي فانتهت التجربة بالطلاق الملائم لهذا الطغيان الخيالي.

وفي قصة « جريمة ولَّاعة السجائر» يعتمد « إحسان عبد القدوس » على الشخصية المفاجئة العكسية ارتدادية الأثر في وسط القصة؛ حيث يتحدث عن

(١) قصة « زواج البحار»، مجموعة بنت السلطان، إحسان عبد القدوس، ص١٥٣

شهيرة ابنة المجتمع المالي الأرستقراطي مجتمع رجال الأعمال والأموال التي ترعرعت في الجاه والثراء منذ ولادتها؛ حيث كان أبوها أحد رجال الأعمال الأثرياء وكان جدها من قَبله كذلك، لكنها كانت تضيق بذلك المجتمع وبتقاليده الضيقة التي تحكمها المادة والمصالح المالية الشخصية، ولا مكان فيها للحب والعواطف والأحاسيس؛ لذلك كانت تتفلت من تقاليده، وتعيش مع تقاليد المجتمع الشعبي الرحب، فتسمع أغانيه وترتاح لأهله حيث البساطة والحُبّ، يقول: "**كل ما كانت تريده بحريتها هو أن تخرج من هذا المجتمع الضيق، إلى المجتمع الأوسع المفتوح الذي يضم كل الطبقات العادية البسيطة.. وعاشت هذا المجتمع الواسع بهواياتها، وذوقها، ومنطقها، وأصدقائها، وصديقاتها.. وربما خرجت إليه أيضاً بخيالها. فقد أصبح خيالها رقيقاً، هفهافاً، يعيش في صور حب عاطفي، كالصور التي ترسمها القصص الرومانتيكية القديمة.. حُب لا علاقة له بالجسد ولا بمطالب الحياة، ويرتفع بالإنسان إلى مستوى الاكتفاء بخياله..**"(١)

وهذا يصور درجة الإنسانية العالية بما تحمله من رقة وحب ورحمة لدى شهيرة، والتي افتقدها أفراد واقعها الأرستقراطي؛ فلا يتحرك اهتمامهم بالإنسان إلا بقدر ما يربطهم به من معاملات مالية واقتصادية، بخلاف أفراد المجتمع البسيط فإن اهتمامهم إنساني في المقام الأوّل توجِّهه عواطفهم ومشاعرهم وليس منافعهم؛ لذلك تَوافَق هذا الواقع مع إنسانية شهيرة فاتجهت إليه كليًّا حتى إنها رفضت الزواج من أبناء مجتمعها الأرستقراطي، وحين تَقدّم لخطبتها المهندس عبد السلام أحد أفراد المجتمع العادي البسيط ــ والذي اجتهد وسافر إلى الدول العربية حتى أصبح أحد رجال الأعمال ــ وافقت على الفور، يقول: "**وتزوجته لا لأنه شاب ناجح دخل مجتمع رجال الأعمال.. ولا لأنه تقدّم إليها باعتبارها ابنة الرجل الناجح الثري..**

---

(١) قصة « جريمة ولاعة السجائر»، مجموعة الهزيمة كان اسمها فاطمة، إحسان عبد القدوس، ص٢٩٤، ط. مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ــ مصر١٩٩٨م.

إنما لأنها أحبته.. ولأنها عرفت أنه يحبها.. أحبته كرجل بسيط، وأحبها كفتاة بسيطة.."[١]

وقد برزت ملامح هذه البساطة على حياتهما فكانت حياة سعيدة هادئة، وكانت غيرته الشديدة عليها من أصدقائها والمصحوبة بتوتره تسعدها وتدخل عليها السرور؛ لشعورها بأنها الاهتمام الأوّل في حياته، ويسير المتلقي على هذا النحو من أحداث التوافق والحُب بينهما في مسار يؤذن بنجاح تجربة التلاقح بين المجتمعين وبلوغها مراقي التمام، لكن تأتي المفاجأة العكسية كاشفة عن شخصية أخرى في عبد السلام غير التي عرفتها شهيرة، يقول: " **كانت مدعوة مع زوجها في إحدى سهرات رجال الأعمال، وجلس معها عزمي عبد الله، رئيس مجلس إدارة بنك المعاملات الخارجية.. وهو رجل سكِّير، ثقيل الظل، وقِح، وتعلم أنّ زوجها له أعمال كثيرة معه ومع البنك.. وبدأ الرجل يوجه إليها ألفاظاً جريئة، وتوقعت أن يغضب عبد السلام، ولكنه لا يغضب، إنّه يضحك على الكلمات الجريئة ويعتبرها نكاتٍ... كلام جارح لم تكن تنتظره من عبد السلام.. وقد تكررت منه هذه المواقف.. مواقف التساهل مع كل من يعمل معه أو يشترك معه في صفقة.. تساهل إلى حدّ السكوت على الغزل الوقح الذي وجه إليها.."**[٢]

هذا السلوك بدوره أماط اللثام عن شخصية عبد السلام الأخرى وأكَّد بقوة انخراطه في المجتمع الأرستقراطي واندماجه فيه وتطبعه بطبائعه، منسلخاً من واقعه البسيط ومن طبائعه في مواجهة انسلاخ شهيرة من واقعها الأرستقراطي وطبائعه، وقد اتجهت شهيرة في هذه المواجهة إلى إعمال العقل؛ فلم تثُرْ ولم تطلب الطلاق، بل مارست الفعل نفسه لإثارة غيرته وردِّه إلى بساطته، فقررت أن تضعه في نقطة فاصلة تفرض عليه أن يختار بينها وبين صفقاته؛ لذا عملت على

---

(١) قصة « جريمة ولاعة السجائر»، مجموعة الهزيمة كان اسمها فاطمة، إحسان عبد القدوس،، ص٢٩٧

(٢) المصدر السابق، ص٢٩٨

إثارة شكوكه من خلال مكالماتها التليفونية وزياراتها المتكررة لصديقاتها، فضلاً عن إغرائها لمدير البنك الذي بدأ معه زوجها صفقة كبيرة تساوي ملايين الجنيهات، وهي تحاول أن توصل ذلك إليه بطرق مختلفة لكنه لم يثَرْ، حتى رتبت مع مدير البنك لقاءً في بيته وأبلغ السائق الخاص زوجها بذهابها إلى بيت المدير وجاء فعلاً حاملاً مسدساً ووجدها معه متحررة إلى درجة كبيرة من الأخلاق تحرراً مقصوداً حتى تُحرِك غيرته، لكنه تراجع ولم يقتله واكتفى بكلمات اللوم فقط، يقول: " **واقتربت منه في خطوات ثابتة، وبلا خوف، وهي تقول: ــ أهذا هو كل شيء.. أهذا كل ما يمكن أن يحدث؟! ثمّ بسرعة مدّت يدها في جيبه، وأخرجت المسدس، وأطلقته.. أطلقته على عزمي.. وسقط عزمي عبد الله رئيس مجلس إدارة بنك المعاملات الخارجية قتيلاً.. وقالت شهيرة في هدوء وهي تنظر إلى زوجها عبد السلام، ودون أن تلتفت إلى الجثة التي وقعت تحت قدميها: ــ هذا ما كان يجب أن تفعله.. ثمّ ألقت المسدس على الأرض واتجهت خارجة من البيت.**"(١)

في هذا المشهد تأكيد واضح على تغلغل تقاليد المجتمع المالي الأرستقراطي في نفس الزوج لدرجة ذهبت معها نخوة الرجولة والغيرة على عرضه التي هي سلوك راسخ لدى أفراد المجتمعات المتوسطة والبسيطة؛ مما أدى إلى قيامها بفعل هذه النخوة والغيرة من قبيل الذم والتعريض به، وقد اتهم بقتله بعد خروجها وبعد القبض عليه وتقديمه للمحاكمة صاح معترفاً بأن زوجته هي التي قتلته مؤكداً بذلك تجرده من كل معالم النخوة، ومع ذلك حكم عليه بالسجن عامًا مع إيقاف التنفيذ؛ للدفع بأنه قَتل للدفاع عن الشرف، وبعد خروجه من السجن رأت شهيرة أن ما فعلته ضربٌ من الجنون، فعادت لزوجها واستسلمت له وانغمست تماماً في تقاليد المجتمع المالي الأرستقراطي، يقول: " **استسلمت.. وهناك في البلاد التي هاجر إليها حقق عبد السلام كثيراً من الصفقات، وهي بين يديه مستسلمة كولَّاعة**

---

(١) قصة « جريمة ولاعة السجائر»، مجموعة الهزيمة كان اسمها فاطمة، إحسان عبد القدوس، ص٣٠٦

سجائره، يشعلها أمام كل من يختاره.. ولم تعد تعترض ولا تحس بشيء ينقصها.. إنها أصبحت سيدة أعمال.."[١]

وفي هذا ارتداد واضح لشهيرة عن فكرها ومشاعرها تجاه المجتمعات البسيطة، واندماجها مرة أخرى في مجتمعها المالي الأرستقراطي، وقَبولها وانغماسها في تقاليده الضيقة الجافة من المشاعر والإنسانية. من هنا أثَّرت الشخصية المفاجئة في تحول طبيعة عناصر السرد تأثيراً سلبياً حيث تحولت بفعلها شخصية شهيرة من شخصية بسيطة رقيقة تسيطر عليها مشاعر الحب والسلام والإيثار إلى شخصية ماكرة، متحايلة، منفلتة، شريرة، قاتلة وهو تحويل أولي أدى إلى تحويلها فكرياً بعد ذلك عن الاندماج في المجتمع البسيط وتقاليده إلى الاندماج في مجتمعها المالي الأرستقراطي وتقاليده التي ناهضتها في أوّل القصة في شكل نكوص وارتداد عن اتجاهها الفكري والنفسي، وتبعاً لذلك تحولت طبيعة الأحداث في السرد من أحداث يعلوها الحب، والسلام، والطمأنينة، والسكينة، والاستقرار قبل المفاجأة، إلى أحداث يطغى عليها الجفاء، والمكر، والحيل، والقلق، والشك، والانفلات، الأخلاقي، والقتل، والسجن بعد المفاجأة، وهو تأثير فاعل رغم سلبيته مقصود في بلورة الفكرة قصد به الكاتب إبراز قوة تقاليد المجتمع في توجيه فكر الشخصيات ومشاعرها خاصة إذا وقعت تلك الشخصيات تحت مؤثرات شخصيات أخرى تدين بتقاليد ذلك المجتمع.

وفي قصة « عريس لأختي » اعتمد « إحسان عبد القدوس » على المفاجأة الشخصية العكسية المتعددة متدرجة الأثر؛ حيث يحكي الراوي عن مشكلة أخته زينب التي بلغت من العمر سبعة وعشرين عاماً ولم تتزوج، فيقول: " **وقد مضى عمر طويل دون أن أتنبَّه إلى أن أختي لم تتزوج.. كنت ألحظ أحياناً تنهُّدات أمي.. وكنت أسمع أحياناً دعوات جارتنا.. ربنا يعدلها لزينب يا رب.. وكنت أراها**

---

(١) قصة « جريمة ولاعة السجائر»، مجموعة الهزيمة كان اسمها فاطمة، إحسان عبد القدوس، ص٣١٢

في كل يوم في صمتها وذبولها.. ورغم ذلك لم أنتبه إلى مشكلتها.. ولم تكن هذه المشكلة يثيرها أحد في البيت.. ربما كانت الكبرياء تمنعنا من إثارتها."[١]

هذه المشكلة جسّدت بوضوح ما يؤرق الأمهات في المجتمع وهو الخوف من عنوسة البنات وبقائهن من غير زواج، والذي ينعكس سلبيًّا على حالتها النفسية وطبيعتها الظاهرية؛ مما يؤثر على فاعليتها في المجتمع كفرد من أفراده، ولم تظهر هذه المشكلة للراوي إلا بعد أن ادَّخر مبلغاً مما يتقاضاه من وظيفته الحكومية وأقدم على الزواج وهو في سن التاسعة والعشرين، حين عرض ذلك على أمّه؛ فقابلته بسلوك مفاجئ في شخصيتها كان صادماً له، يقول: " **ثمّ فجأة انهمرت الدموع من عينيها.. دموع صامتة كندَى الفجر. وفتحت عيني دهشة.. وصحت:ـ مالك يا ماما.. انتي زعلانة علشان حاتجوز .. بلاش.. مش ضروري أتجوز! وانطلقت كل دموع أمي، وارتفع نشيجها، ثمّ غطّت عينيها بيديها وهي تنوح:ـ زينب يا محمود.. كان نفسي ربنا يعدلها لها قبلك.. يجي لها ابن الحلال.. يا كبدي عليكي يا بنتي.. يا خسارتك في ركنتك دي يا زينب.. وانفتحت المشكلة أمامي.**"[٢]

هذا السلوك المفاجئ في شخصية الأم كشف عن شخصية مهمومة بابنتها وبتأخرها في الزواج همًّا عكس رقة المشاعر، والحُب، والدفء الكبير في علاقة أفراد الأسرة في المجتمعات البسيطة، وقد أدى هذا السلوك المفاجئ في شخصية الأمّ إلى تحويل مسار التفكير لدى الابن تماماً، فبعدما كان يسعى إلى الزواج واختيار الفتاة المناسبة للزواج منها أعرض عن هذا واتجه كُلِّيًّا إلى التفكير في حلّ مشكلة أخته؛ فسعى في حلول متتالية بدأها بكسر انطواء أخته وعدم خروجها من البيت باصطحابها إلى السينما وإلى المتنزهات كي ترى الناس وتعرفهم ويعرفونها، ثم بدعوة أصدقائه إلى البيت وتفاعُله معهم بشكل أكبر لعل أحدهم يتعرف إلى أخته ويقبل على الزواج منها، وتستمر الأحداث في ذلك الاتجاه متسلسلة متصاعدة

---

(١) قصة « عريس لأختي »، مجموعة بئر الحرمان، إحسان عبد القدوس، ص١٣٧

(٢) المصدر السابق، ص١٣٨

متطورة يعلوها الترقب، حتى يصل إلى عريس لأخته وكان أحد أصدقائه لكنه منحرفٌ أخلاقيًّا وجده في مأزق مالي كبير، يقول: "**إنه حشاش، ويلعب القمار، وسبق أن كتب شيكات بلا رصيد، وكاد يدخل السجن لولا أن أنقذ بأعجوبة.. وهو كذاب.. نصاب.. يخدع البنات.. كل شيء فيه سافل.. ما عدا شكله.. إنه وسيم.. طويل.. في عينيه براءة الأطفال.. ودائماً أنيق.. نظيف.. معطَّر! ... وذهبت لزيارته.. ووجدته في ورطة.. ورطة كبيرة.. لقد اختلس من خزانة الحكومة مائتين وخمسين جنيهاً.. واكتُشِف الاختلاس اليوم وسيقدَّم إلى النيابة غداً، إذا لم يستطع أن يعيد المبلغ في الصباح الباكر..**"(١)

هنا يجد الراوي الفرصة سانحة فيتدخل في الموقف، ويعرض عليه أن يؤدي عنه ما اختلسه من المال من خلال ما ادَّخره لزواجه هو في مقابل أن يتزوج أخته بالرغم من انحرافه الأخلاقي، وما اتصف به من صفات سلوكية سيئة، وأن يأخذ عليه إيصالَ أمانةٍ يقطّعه يوم كتْب كتابِه على أخته، فيقبل ويخطب أخته فتسعد أخته ويسعد البيت كله ويعلوه الفرح، ثمّ تُحب أخته صديقَه، وتتطور تطوراً إيجابيًّا كبيراً في ملبَسها ومظهرها وحالتها النفسية السعيدة، وإقبالها الشديد على الحياة، ومع ذلك خاف أخوها الراوي عليها من كل هذا الحُب ومن صدمتها حين تعرفه على حقيقته، وظل في خوف وتنازع نفسي حتى قرر أن يصارحها بكل حقيقته؛ فتفاجِئه مفاجأة عكسية بمعرفتها لحقيقته، يقول: " **اسمعي.. انتي لازم تعرفي فهمي قبل ما تتجوزيه.. تعرفيه أكتر من كده.. تعرفيه على حقيقته.. لو عرفتيه دلوقت أحسن ما تعرفيه بعدين.. أحسن ما تتجوزيه وانتي مغشوشة فيه.. وقالت في ثبات، وابتسامتها المليئة بالثقة، ترقص فوق شفتيها:ــ أنا مش مغشوشة فيه.**

قلت وأنا في دهشة من ثقتها به وبنفسها:

ــ انتي عارفة إنه حشاش؟

قالت في هدوء: عارفة.

---

(١) قصة « عريس لأختي »، مجموعة بئر الحرمان، إحسان عبد القدوس ، ص١٤٦، ١٤٧

قلت وأنا لا زلت في دهشة:

ــ عارفه إنه بيلعب قمار؟

قالت في بساطة:ــ عارفة.....

وصرخت أكثر:ــ وأظن عارفة إنه اختلس ميتين وخمسين جنيه؟

قالت:ــ عارفة.. وعارفة إنك دفعتهم له.. واشترطت عليه إنه يتجوزني! وسَقَطْت فوق المقعد.. دائخاً .. يكاد يغمى عليَّ."(١)

فهنا كشف الحوار عن سلوك غير متوقع في شخصية زينب فاجأ أخاها محمودًا وفاجأ المتلقي مفاجأة عكسية برز من خلالها توافقها النفسي والفكري الشديد مع شخصية فهمي، والذي كشفت عنه لأخيها بعد ذلك مصرحةً له أنها تحبُّه وأنه يحبها ومن حُبِّه لها أنه اعترف لها بكل ذلك، وأنّه تغير تماماً بسبب هذا الحُب؛ لذلك سارت الأحداث بعد المفاجأة في اتجاه إيجابي تصاعدي على الرغم من محاولة الأخ أن يثنيها عن فكرها، وأن يقنعها أنه مُحتال حتى وصل إلى تقطيع وصل الأمانة أمام أخته وخطيبها معتقداً أنه سيهرب ويعلن فسخ الخطوبة، ولكن جاءت النهاية مؤيدة لفكر الأخت ولمشاعرها، يقول: " **وكنت واثقاً مما سيحدث.. سيفرح فهمي، ويعلن فسخ الخطوبة.. ويجري.. وستبكي زينب.. ربما ستبكي أياماً.. ولكنها ستفيق من بكائها، وتحمد الله على إنقاذي لها من هذا الزواج. ولكن لم يحدث شيء من هذا.. فهمي واقف أمامي يبتسم.. وزينب واقفة أمامي تبتسم.. ثمّ تقدم كل منهما إليّ.. وقبَّلني فهمي فوق وجنتي.. وقبَّلتني زينب فوق وجنتي الأخرى. ثمّ قال فهمي في هدوء: ــ بكره حا آجي الساعة أربعة ومعايا المأذون.."**(٢)

وهذا يؤكد دور الحُب وتأثيره الفاعل في تحويل طبيعة الشخصيات من السلبية إلى الإيجابية، ومن الشر إلى الخير؛ لما يَشيعه في النفوس من السعادة، والراحة، والطمأنينة، والأمان، والاهتمام، والرعاية بين المُحبّين، ولتحقيقه الدافعية

---

(١) قصة « عريس لأختي »، مجموعة بئر الحرمان، إحسان عبد القدوس ، ص١٥١، ١٥٢

(٢) المصدر السابق، ص١٥٤

نحو الهدف وتطوير الذات وتعديل سلوكها بما يتوافق إيجابيًّا مع نظرة أحدهما للآخر، " وباتحاد الرجل والمرأة على هذا النحو تنعقد الصلة بينهما على العون والمودة والرحمة، ويسعى كل منهما إلى التفاني من أجل صاحبه، أو الفناء فيه. وعندها يصير كل زوج من زوجه كأنّه وَليٌّ حميم، فيكون مؤتمناً عليه كما هو مؤتمن على نفسه، وفيًّا له، مخلصاً كل الإخلاص"(١)

وبذلك أسهمت الشخصية المفاجئة العكسية في قلب اعتقاد وتوقع المتلقي والراوي مرتين. وتبعاً لذلك اتضح تأثيرها الفاعل في عناصر السرد حيث حوَّلت الأحداث من بداية القصة من اتجاه الراوي إلى الزواج قبل المفاجأة إلى اتجاه تزويج أخته بعد المفاجأة، ومن تردده في زواج أخته من صديقه قبل المفاجأة الثانية إلى إذعانه وقبوله بعد المفاجأة الثانية، كذلك أسهمت المفاجأة الأولى في تحويل شخصية الراوي من الاهتمام بنفسه إلى الاهتمام بأخته والاندماج معها، وأسهمت في تحويل شخصية الأخت من الانطواء والعزلة إلى الانفتاح الذي فجّر ذكائها وطاقتها الروحية والنفسية المبهجة، كذلك برز أثر المفاجأتان العكسيتان في تحويل شخصية خطيب الأخت من الانحراف الأخلاقي إلى الالتزام والتطور الذاتي، وهو تأثير قوي وفاعل في البناء السردي قصد المؤلف من خلاله تأكيد قدرة الحُب على تغيير مسارات الحياة من السلبية إلى الإيجابية.

ثالثاً ــ الفكرة المفاجئة العكسية:

وهي قول أو فعل يصدر من أحد شخصيات القصة يحمل رأي ووجهة نظر محددة في قضية من قضايا الواقع الاجتماعية أو الفكرية، تكون مباغتة ومفاجئة في السرد لإحدى شخصيات القصة وللمتلقي كذلك، مفاجأة عكسية تؤدي إلى التعارض معها في بعضها معارضة نابعة من اختلاف وجهات النظر، وقد استعمل « إحسان عبد القدوس » هذا النمط استعمالاً دقيقاً في رسم بعض الأفكار الاجتماعية والفكرية في قصصه. ففي قصة « العمر لحظات » يتحدث الراوي عن حياة إبراهيم عز

(١) الحُب والفناء تأملات في المرأة والعشق والوجود، علي حرب، ص٢٦، ط. دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ــ لبنان، الأولى١٤١١ه، ١٩٩٠م.

الدين، ووحدته التي يحياها بعد وفاة زوجته نعمت التي كانت تحبه وتقوم على كل شؤون حياته وحياة ولديه اللذينِ أنجبهما منها، حتى إنّها كانت تنظم له كل حياته الاجتماعية، والاقتصادية، والمنزلية لدرجة أنها كانت تختار له كل شيء ملابسه ومأكله ومشربه، ولم يكن عليه شيء في حياته غير العمل والكسب، حتى تزوج ولداه واستقلَّا عنه خارج البيت ثمّ ماتت زوجته ليحيا في بيته وحيداً، يقول: " **ومرت ابتسامة مُرّة على شفتيه.. كأنّه يشفق بها على نفسه.. إنهم يتحدثون دائماً عن المرأة العجوز التي يتركها زوجها وحدها.. ويشفقون عليها من وحدتها.. وقد يسعون إليها للتخفيف عنها ولو بملء أذنيها بالكلام.. ولكنهم لا يشعرون بالرجل العجوز إذا أصبح وحيدًا.. إنهم يحمِّلونه وحده مسئولية وحدته.. كما تعودوا أن يحملوه مسئولية كل حياته..**"(١)

فالنص هنا يجسد الغربة النفسية التي يعيشها إبراهيم عز الدين بين جنبات بيته وحيداً، والتي يزيد إيلامها على النفس عدم إحساس الأبناء بألم هذه الوحدة على نفس أبيهم كما يمكن أن يشعروا بها مع والدتهم لو اختلف الموقف؛ مما يجعل وقع الوحدة على النفس أشد وأعنف، وقد حاول أن يتخلص من وحدته بالقيام ببعض الأشياء التي يمكن أن تكسر وحدته مثل قراءة الصحف والكتب الاقتصادية ثم الروايات والقصص، لكنها لم تحقق مقصده وانصرف عنها عائداً إلى وحدته، حتى جاءته ذات مرة مشيرة ابنة الجيران التي تَرَبَّتْ على يديه حيث كانت تماثل عُمْر أبنائه وتأتي لتلعب معهم في البيت، حتى تعلقت به كأب تستشيره في كل ما يعنُّ لها وترتاح لآرائه وكلامه المنطقي، حتى كبرت وتزوجت من رجل ثري يكبرها بكثير، وسافرت معه إلى لندن حيث أعماله هناك، وبعد عشر سنوات تم الطلاق بينها وبين زوجها وعادت تتردد عليه في البيت كما كانت قبل الزواج، وبينما يشكو لها آلام الوحدة بادرته بفكرة مفاجئة عكسية غير متوقعة للبطل، يقول: "**إني أعتبر**

---

(١) قصة « العمر لحظات »، مجموعة فوق الحلال والحرام، إحسان عبد القدوس، ص١٥٦، ط. الدار المصرية اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ــ مصر، الثانية٢٠١٦م.

زيارتك لي كأنّها زيارة مواساة.. وقالت ببساطتها:ــ لا.. سأقيم معك.. لن أتركك وحدك.. لا نهارك ولا ليلك!

وقال في دهشة صارخة:ــ كيف.. ماذا تقصدين؟

وقالت كأنها تصدر أمراً منتظراً:ــ سنتزوج..

وهبَّ من رقدته وهو يصيح:ــ هل أنت مجنونة!!

وقالت ضاحكة دون أن تفاجأ بصيحته:ــ إن المجانين هم الذين يصنعون الحياة.. والعقلاء هم الذين يستسلمون لها كما يجدوها.."[١]

فالمفاجأة العكسية هنا تجسدت في فكرة الزواج من البطل التي صرحت بها مشيرة، وقد كانت قوية في إثارة دهشة البطل والمتلقي كونها غير متوقعة من ناحيتين: إحداهما ــ أنّها تصغره بأكثر من اثنين وثلاثين عاماً، وثانيهما ـــ أن علاقتها به كانت علاقة البنت بأبيها في أسمى معانيها، وهذا ما جعله يعارض هذه الفكرة ويرفضها رفضاً تامًّا، لكنها لم تستسلم وتدخل معه في حوار جدلي طويل رغبة في إقناعه واستمالته لفكرتها وإقناعه بها، قائلة: " **اخترتك من بين كل من خطروا على بالي.. وأنا مصممة على أن أخلصك وأخلص نفسي من الوحدة.. وافقِ يا إبراهيم على أن نتزوج!.. إنها تقول: إبراهيم.. ولا تقول: عمي.. كما تعودت وعودته!.. وقال في ابتسامة حزينة:ــ إنك ابنتي يا مشيرة..**

ــ وقالت ضاحكة وهي تلتصق به أكثر:ــ كيف تترك ابنتك وحيدة بعيدة عنك.. وليس أمامنا طريقاً يجمعنا في حياة نعيشها معاً إلا أن نتزوج؟!.. سأكون ابنتك وزوجتك وأمك وصديقتك.."[٢]

على هذا النحو من الجدل يستمر السرد مساحة طويلة حتى تتمكن من استمالته وإقناعه بفكرتها المفاجئة، لكن يتحول الجدل إلى داخله فينشطر ذهنه إلى نصفين: أحدهما ــ معارض يقدم له الأفكار والخواطر السلبية المنفرة، والآخر ــ مؤيِّد يقدم له الصور الإيجابية المُرغِّبة، يقول: " **وهز رأسه بعنف كأنه يطرد عنه**

---

(١) قصة « العمر لحظات »، مجموعة فوق الحلال والحرام، إحسان عبد القدوس، ص١٧١

(٢) المصدر السابق، ص١٨٤، ١٨٥

هذه الأفكار السوداء.. لماذا يتصور المصائب؟!. لماذا لا يعيش الأمل في تحقيق منتهى السعادة.. على الأقل يعيش الأمل في التخلص من معاناة وحدته.. ويترك المستقبل بين يد الله.. أي: بين يدي القدر.."(١)

هذا الجدل الداخلي استمر مع إبراهيم عز الدين حتى استسلم للجانب الإيجابي مستسلماً مقتنعاً بالفكرة المفاجِئة، وتم الاتفاق على الزواج وعلى إحضار المأذون لإتمام عقد الزواج، وأثناء انتظار المأذون عادت إليه الأفكار السلبية مرة أخرى، وعند مجيء المأذون كانت الأفكار السلبية قد طغت على الإيجابية فأعلن رفضه التام للفكرة، يقول: " **وانطلق إبراهيم بصوت مبحوح كأنه ينتحر:ـ لن نبدأ.. يبدو أن العريس قد غير رأيه ولن يأتي لعقد الزواج.. وسقطت مشيرة على الأريكة كأنه أغمي عليها.. وقام المأذون منصرفاً وهو يلوي شفتيه في قرف كأنه شاهد جريمة مبتذلة.. ولكنه عاد يبتسم عندما مدّ إليه إبراهيم يده بمبلغ كبير، كأنه يعوضه عما شاهده ويوصيه بالاحتفاظ بالسر!.."**(٢)

هذا الرفض ختم به الراوي القصة وأنهى أحداثها نهاية جسَّدت ارتداد البطل عن الاقتناع بفكرة الزواج المفاجئة، ورفضها رفضاً تامًّا منتصراً للموانع النفسية والفكرية والواقعية، ومتحرراً من الحركة الجدلية سواء الخارجية أو الداخلية التي ملكت عليه فكره ومشاعره، وجعلته منشطراً بين القبول والرفض انشطاراً مثيراً لترقب المتلقي وتشويقه.

وفي ضوء ذلك أثّرت الفكرة المفاجئة العكسية تأثيراً قويا فاعلاً في عناصر السرد بشكل شامل حيث حوّلت طبيعة الأحداث والشخصيات من الواقعية البسيطة إلى الفكرية الجدلية الخارجية أولاً بين البطل ومشيرة صاحبة الفكرة المفاجئة، ثمّ إلى الفكرية الجدلية الداخلية ثانياً بين البطل ونفسه، تحويلاً فاعلاً في إثراء البناء السردي بحركة جدلية فكرية بين الرأي والرأي المقابل له، وما لازمهما من الحجج

---

(١) قصة « العمر لحظات »، مجموعة فوق الحلال والحرام، إحسان عبد القدوس، ص١٨٨

(٢) المصدر السابق، ص١٩٢

والبراهين التي أضاءت بقوة فكرة مشكلة فارق العمر في الزواج، وما يتبعها من تأثيرات ظاهرية وباطنية تتحدّد في ضوئها معالم الأسرة في محيطها الاجتماعي.

وفي قصة « المدرسة الحديثة » اعتمد « إحسان عبد القدوس » على الفكرة المفاجئة العكسية المتعددة؛ حيث يتحدث راوي القصة ذلك الدبلوماسي المحنك الذي يعمل في وزارة الخارجية عن حكايته مع كوثر التي شاهدها ترقص في إحدى الحفلات، فيبدأ الحكاية بالحديث عن نفسه وعن طبيعة عمله الدبلوماسي، فيقول: "**أمّا أنا فحرفتي مخاطبة عقول الناس.. ليس كل الناس.. إني أكره مخاطبة كل الناس.. ولكني أخاطب مجموعة الأفراد الذين يملكون مصائر الناس.. الأفراد العباقرة الممتازين، الذين تتطلب مخاطبتهم عبقرية خاصة، عبقرية إنسان موهوب.. ويساوي إقناع الواحد منهم، إقناع شعب بأكمله. والانتصار على واحد منهم ــ الانتصار بالمنطق ــ يساوي الانتصار على أمة.. يساوي فتح بلد واحتلاله..**"(١)

فالراوي هنا من خلال حديثه عن طبيعة عمله رسم لنفسه شخصية تتسم بالعمُق والجدة والنباهة والعبقرية الفذة، وهي سمات ملائمة تمام التلاؤم مع طبيعة الدبلوماسي الذي يسعى إلى استمالة حكومات الدول ورجالها من أصحاب القرار في إبرام المعاهدات والاتفاقيات السياسية والاقتصادية والمالية، بما يعود بالنفع وتحقيق المصالح لبلده، ومن ثَمّ فالدبلوماسية التي ينتهجها تعني: " استخدام الحنكة واللباقة في العلاقات الرسمية بين حكومات الدول المستقلة، واستخدامها كذلك أحياناً في تعاملات تلك الحكومات مع الدول التابعة، أو بمزيد من الاختصار هي إدارة العلاقات بين الدول بالطرق السلمية"(٢)، على نحو تتحقق فيه المصالح المرجوة من تلك العلاقات.

---

(١) قصة « المدرسة الحديثة »، مجموعة علبة من الصفيح، إحسان عبد القدوس، ص٧٢

(٢) تاريخ الدبلوماسية، جيريمي بلاك، ترجمة: د. أحمد علي سالم، ص١٤، ١٥، ط. هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي ــ الإمارات العربية المتحدة، الأولى١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

وقد استمر الراوي في الحديث عن طبيعته الدبلوماسية ومكانته السياسية ودهائه الكبير فيها، وأفرد مساحة تحدث فيها عن فن الكلام في الدبلوماسية وطبيعته الإقناعية التامة التي ينتهجها في استمالة الطرف الآخر، وتحقيق أكبر مكاسب اقتصادية وسياسية ومالية منه، حتى يصل إلى الحديث عن لقائه بكوثر في إحدى الحفلات، فيتحدث عن إعجابه برقصها على نغمات الموسيقا الأجنبية، ورشاقتها ونضارتها وشبابها، ويخمن ابنة من تكون من الدبلوماسيين في الحفل، حتى انتهت من الرقص وجاءت وجلست بجانبه، وحاول أن يلفت نظرها بالابتسامة والنظرات لكنها كانت مشغولة بالموسيقا، حتى حدَّثها حديثاً مباشراً مُبدياً إعجابه برقصها ومحدِّثها عن تاريخ الرقص، فترد عليه ردًّا حمل فكرة مفاجئة عكسية غير متوقعة، يقول: " **يعني أيام ما كان الإنسان لسه عايش في الغابة.. كان يرقص كده. وعلشان كده أول ما ظهرت الرقصات دي كانت قريبة من قلب الإنسان و.. وقاطعتني كوثر قائلة بسرعة:ــ واحد قلبه وقف نزل يزقه.. ها.. ها.. وانطلقت تضحك، ضحكات رقيقة ناعمة لها صوت كصوت الأجراس المعلقة في رقاب البقر وهي ترعى في جبال سويسرا. وارتبكت أنا.. الواقع كانت مفاجأة لي.. ولكني تمالكت نفسي بسرعة، وضحكت معها.... وقلت: الواقع مش بس الرقص هو اللي أصبح يستمد خطواته من الفولكلور القديم.. الحلي مثلاً.. يعني الأساور اللي بنشوفها النهار ده في إيدين الستات و.. وعادت كوثر تقاطعني قائلة:ــ مرة واحد حلق والثاني غويشة.. ها..ها.. وسخسخت على نفسها من الضحك.. وارتبكت مرة ثانية، ولكني بسرعة ضحكت معها..**"(١)

فالنص هنا حمل ثنائية تعبيرية ضدية: أحدهما ــ في جانب الراوي كانت تعبيرية جادة ثرية بالمعلومات التاريخية، والأخرى ــ في جانب كوثر كانت تعبيرية هزلية مجردة من المغزى حملت فكرة مفاجئة عكسية غير متوقعة للراوي تمثلت في انتهاجها التجريدية في الفن الذي " عرف بالفن التجريدي

(١) قصة « المدرسة الحديثة »، مجموعة علبة من الصفيح، إحسان عبد القدوس، ص٧٧، ٧٨

أو اللاصوري non figuratif أو اللاموضوعيnon obgectif هو تيار فني عالمي، كان قد ظهر في الغرب مع بداية القرن العشرين."[١]، والتي تقوم على تجريد العمل الفني من الموضوع وتهتم بالخطوط والألوان وتأثيراتها التي تغني من منظورها عن الموضوع، وقد جذبت هذه الفكرة التجريدية الراوي ونالت إعجابه حتى تزوج كوثر بعدها، ومضى عام عليهما وهما في سعادة بالغة بتأثير هذه الفكرة التجريدية؛ لذلك اشتد إيمانه بها، يقول: " **ومضى عام ونحن نكاد نطير من السعادة.. إننا في جنة صنعناها من حُبنا ومن توافق أمزجتنا وشخصياتنا. وإيماني بالمدرسة التجريدية يشتد، وقد جمعت خلال هذا العام من لوحات الكلام التجريدي عشرات.. مئات.. ربما أكثر مما جمعتْ كوثر طوال حياتها**"[٢]

فَجَمعُ الراوي لمئات من الكلام التجريدي يؤكد بقوة حبه الشديد له وقناعته به قناعة عكَسْتها السعادة البالغة مع زوجته التي تؤمن بالفكرة نفسها، ولهذه التجربة التجريدية الفاعلة في بيته اتجه إلى التعامل بها مع رؤسائه في الدبلوماسية لعله يحقق قدراً كبيراً من التآلف والسعادة معهم، لكن يُفاجأ بفكر عكسي غير متوقع، يقول: " **كل ما أذكره أن الوزير استدعاني مرة إلى مكتبه، وبدأ يُحدثني عن الأوضاع السياسية في الكونغو وقال في ضمن كلامه:**

ــ إن مبادئ المرحوم لومومبا لا تزال.. وقاطعته قائلاً:

ــ واحد لو مومبا والثاني مالوش.. ها.. ها.. ها. إنها لوحة تجريدية رائعة..

ولكن الوزير لم يضحك.. لقد نظر إليَّ نظرة هائلة، وزم شفتيه في قرف.. لا يهم.. إن سيادته ليس من أنصار المدرسة التجريدية في الكلام.... ثمّ أنهى

---

(١) التيارات الفنية المعاصرة، د. محمود أمهَز، ص٢١٣، ط. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ــ لبنان، الثانية٢٠٠٩م.

(٢) قصة « المدرسة الحديثة »، مجموعة علبة من الصفيح، إحسان عبد القدوس، ص٧٩، ٨٠

المقابلة فجأة، وصرفني من مكتبه. وفي اليوم التالي تلقيت خطاب الاستغناء عن خدماتي"[١].

فالنص هنا حمل فكرة مفاجئة عكسية غير متوقعة جسدت الرفض من قِبَل الوزير للكلام التجريدي انطلاقاً من الواقعية التي تمتزج بفكره ولا ينفك الكلام فيها عن الموضوع الجاد، مؤكداً هذا الرفض بطرد الراوي من عمله واستغنائه عن خِدماته الدبلوماسية استغناء ختم به الحكاية والقصة ختاماً مؤكداً نفي الفكرة المفاجئة العكسية الأولى والتضاد التام معها تضادًّا يعلي من شأن الموضوعي ويرسخ قيمته في ذهن المتلقي.

ومن هنا برز أثر الفكرة المفاجئة العكسية القوي في تشكيل طبيعة عناصر السرد بشكل عام حيث حوَّلت الفكرة المفاجئة الأولى طبيعة الأحداث من الجادة الموضوعية، إلى الهزلية المجردة من الموضوع، وحوّلت شخصية الراوي كذلك من الشخصية الجادة الثرية بالمعلومات والأفكار إلى الشخصية الهزلية المنفصلة عن الموضوع، ثم جاءت الفكرة المفاجئة الثانية مضادة ومعطلة لهذا التحول من خلال نفيها للفكرة التي نهض عليها وأدت إلى تحويله، في بناء سردي قوي وفاعل في الانتصار للواقعية والحط من شأن التجريدية وكشف تأثيراتها السلبية وخطرها الواضح في تفريغ العقول من كل ما هو بناء ونافع ومفيد.

وفي ضوء ما سبق لعبت المفاجأة العكسية بأنماطها الثلاثة دوراً فاعلاً في تحقيق السرعة البالغة في المباغتة، والتي أسهمت في إثراء حركة السرد بأساليبَ تحويليةٍ فنية غنية بالأفكار والمضامين حققت فاعلية كبيرة في جذب المتلقي وإثارة انتباهه إثارة محفزة لحدة النظر وقوة اليقظة في الترقب والانتظار كونها غير متوقعة قبل ذلك.

---

(١) قصة « المدرسة الحديثة »، مجموعة علبة من الصفيح، إحسان عبد القدوس، ص٨٠

المبحث الثالث: المفاجأة المتنوعة.

في هذا النوع يتجه القاصُّ إلى استخدام أكثر من مفاجأة في قصته جامعاً فيها بين النمط الاحتمالي والنمط العكسي، وربما استخدم فيه نمطاً واحداً لكن جعل أثره متنوعاً تنوعاً يحمل السمة الازدواجية في النمط الواحد، منوعاً تبعاً لذلك أساليب سرد الفكرة في القصة تنوعاً يحقق الانفتاح على مخاطبة المتلقِّين على اختلاف أذهانهم وأفكارهم؛ مما يضمن جذب شرائح وفئات متلقين كثيرة ومختلفة للنص القصصي، وإقناعهم بما يحمله من دلالات مضمونية يقصدها الأديب في نصه، وهذا يؤكد " أن اللغة تسمح إلى حدٍّ ما بإبداع الفرد، وإدخاله أفكاراً جديدة لم يُسبق إليها، وأن الفرد يستطيع أن يمد من آفاق تفكيره إلى نطاق أبعد مما تحمله اللغة، وإذا ما ربطنا بين هاتين النقطتين فسنصل إلى أنّ المتكلم بإمكانه أن يفكر فيما لم يسبق إليه، وبإمكانه أن يعبِّر عما فكَّر فيه"(١) .

وقد استعمل « إحسان عبد القدوس » هذا الأسلوب التنويعي بين المفاجآت في قصصه، وقد ظهر من خلال هذا التنويع نسقينِ بارزين في القصص: أحدهما ــ تنوعت فيه المفاجآت تنوعاً مفترقاً، وثانيهما ــ تنوعت فيه المفاجآت تنوعاً مزدوجاً، وكان لهذين النسقين آثارهما البارزة الفاعلة في تشكيل أفكار القصص على نحو يمكن إيضاحه في الآتي:

أولاً - المفاجأة المتنوعة تنوعاً مفترقاً:

في هذا النسق جمع « إحسان عبد القدوس » بين نوعين مختلفين من المفاجآت في قصة واحدة: إحداهما ــ المفاجأة المحتملة، والأخرى ــ المفاجأة العكسية، وكان لكلٍ منها أثره في تشكيل الفكرة وتقوية دلالتها المقصودة في النص القصصي.

---

(١) المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد محمد يونس علي، ص٦٩، ط. دار المدار الإسلامي، بيروت ــ لبنان، الثانية ٢٠٠٧م.

ففي قصة « صائد الغزال » يتحدث بطل القصة عن حكايته مع الانفلات الأخلاقي، وتتبُّعه للفتيات في أحياء القاهرة، وإرساله الكلمات خلفهن للإيقاع بهن، حتى إنّه من كثرة التحرش بهن وكثرة مغامراته أصبح يعرف كل إشارات النساء التي هي رد فعل تجاه هذا التحرش سواء كان بالإيجاب أم بالسلب، ويظل يسرد في أساليب هذه المغامرات متبعاً أسلوب التفسير والتحليل حتى يصل إلى مغامرة نفيسة التي رآها أوّل مرة في شارع الموسكي، يقول: " **رأيتها أوّل مرة في شارع الموسكي أيضاً.. قوامها صغير.. زي اللعبة، والملاءة اللف تلتف حولها كأنها ستأكلها أكلاً ... ومشيت وراءها. وأطلقت أوّل رصاصاتي.. هدِّي الخطوة يا جميل.. ثم رصاصة أخرى.. ورصاصة ثالثة ورابعة. ولا حركة ولا إشارة.**

مشيت وراءها شارع الموسكي كله إلى أن وصلت إلى ميدان الحسين، ثم انحرفت إلى الباب الأخضر.. واضطررت أن أقف.. فالمنطقة التي تقع فيما وراء الباب الأخضر لا تصلح للصيد.. إنها منطقة تحتلها شلة من الفُتوَّات مرهوبي الجانب. وعدت يائساً."(١)

هذه المطاردة التي باءت بالفشل تكررت في اليوم التالي عند مرور نفيسة في نفس الأماكن، ثمّ استمرت المطاردات وتكررت في اليوم الثالث، والرابع، والخامس، ولمدة أسبوعين وثلاثة، وهي ملتزمة بخلقها دون أن تُعِره أيَّ انتباه حتى ضعفت قواه وأصابه العجز والفشل، بعد ذلك مرت أمامه ذات يوم فحاول مُجدَّداً أن يوقعها ففاجأته مفاجأة محتملة بفردها ملاءتها بيدها اليمنى في إشارة إلى استسلامها ومعناها: اتبع أثري كما ذكرها في معرفته بالإشارات، يقول: " **وفجأة فردت نفيسة ملاءتها بذراعها اليمنى وعادت وضمتها. جاءت الإشارة. حصّلني. أحصلك لآخر الدنيا يا دنيا.. يا ترى آخرة الصبر دا كله إيه. ورفعت نفيسة يدها ولمست عروسة البرقع في إشارة أخرى معناها « أنت في عنية ». تسلم عنيكي يا ست الكل... وعادت تفرد ملاءتها بذراعها اليمنى. حصلني.**"(٢)

---

(١) قصة « صائد الغزال »، مجموعة علبة من الصفيح، إحسان عبد القدوس، ص١٥٥، ١٥٦

(٢) المصدر السابق، ص١٥٧

هذه الإشارة المفاجئة المحتملة كان لها أثرها البالغ في إعادة الأمل إلى البطل، ومن ثَمَّ تحويل الأحداث من المطاردة إلى المتابعة لنيل ما يبتغي من نفيسة؛ لذلك ظلَّ يسير خلفها في الأزقَّة والشوارع وتسير الأحداث في اتجاه القبول المعهود عليه لدى الفتيات، ويتخيل ما سيحدث سعيداً منتشياً، وبينما هو في هذه النشوة والسعادة تقع له المفاجأة العكسية غير المتوقعة، يقول: " **وفجأة. وأمام دكان بقال. استدارت نفيسة إليَّ، وألقت بملاءتها من فوق رأسها ثم قذفت بفردة الشبشب من قدمها، والتقطتها بيدها من الهواء.. ثمّ هجمت علي.. وهي تصرخ.. يا أفندي يا عرَّة.. يا إبرة مصدية، يا ماسح، يا ماسخ.. يا.. وانهالت عليَّ ضرباً بالشبشب.. وخرج البقال من دكانه.. وانشقت الأرض وانطلق منها عشرات.. كبار وصغار.. كلهم يضربونني.. وصوت نفيسة، أعلى من صوتهم.. وشبشبها يحكم التصويب على رأسي خيراً من صفعاتهم ولكماتهم..**"(١)

هذه المفاجأة جسدت بقوة التزام نفيسة بالأخلاق الحميدة، ودهائها في إيقاع حسني حتى ينال جزاء انحرافه، وأكدت أن مفاجأتها المحتملة الأولى كانت بمثابة الوسيلة لاستدراجه إلى أهلها لينالوا منه، ومن ثمّ فالموافقة فيها ظاهرية لكن في الباطن تحمل التربص والدهاء للنيل منه، وقد كان لهذه المفاجأة العكسية أثرها الفاعل على شخصية حسني؛ حيث تيقَّن من خُلُقِها الحميد فضلاً عن جمالها فأحبَّها وتزوجها، وكف عن تتبع البنات ومطاردتهن، وتطورت حياته تطوراً كبيراً، يقول: " **وتزوَّجتُ نفيسة. ومن يوم أن تزوجتها إلى اليوم وأنا أخاف من شبشبها.. وقد أقلعت عن صيد الغزال.. غزالتي تساوي كل ما في شارع الموسكي من غزال.. وتفرغت لمستقبلي.. درست من جديد، ونلت البكالوريا ودرست الحقوق وأنا موظف في الأشغال، ونلت الليسانس.. وأنا الآن محامي.. ونسكن في العباسية.. وعندنا تليفون وتليفزيون.. وسيارة نصر.. ومحمود.. نفيسة هي أم محمود.**"(٢)

---

(١) قصة « صائد الغزال »، مجموعة علبة من الصفيح، إحسان عبد القدوس، ص١٥٨

(٢) المصدر السابق، ص١٦١

وبهذا الزواج والتطور الكبير في حياة البطل ختم قصته ختاماً فاعلاً أكد قوة شخصية نفيسة المستمدة من أخلاقها، وذكائها، وواقعها الشعبي المحافظ، قوة انعكست على أسرتها الجديدة انعكاسًا إيجابيًّا؛ حيث رسخت فيها الالتزام الأخلاقي، والتقدّم الاقتصادي، والعلمي الذي حققه زوجها بمساعدتها حتى صارت أسرة قوية متماسكة بالأخلاق والعلم والحُب.

ومن هنا كان للجمع بين المفاجأة المحتملة والمفاجأة العكسية في سياق القصة أثرُه الفاعل في تشكيل بناء سردي قوي، وترسيخ التحويل في عناصره ترسيخاً تطلبته الفكرة؛ حيث أسهمت المفاجأة المحتملة الأولى في استقطاب شخصية الراوي من واقعه المنفلت وتحويله إلى واقع نفيسة المنضبط، وأسهمت المفاجأة العكسية في تثبيته في ذلك الواقع وتحويله من الانفلات الأخلاقي إلى الالتزام الأخلاقي، ومن الثبات الحياتي إلى التطور على كافة الأصعدة، وتبعاً لذلك تحولت طبيعة الأحداث تحولاً موازياً لتحول طبيعة شخصية الراوي وحياتها؛ مما أحدث حركة سردية فاعلة مشوقة للقارئ، وجاذبة له ومقنعة في ذات الوقت بفضل الالتزام الأخلاقي ودوره في تقويم حياة الناس وتوجيهها الوجهة القويمة.

وفي قصة « لمن أترك كل هذا؟! » جمع « إحسان عبد القدوس » بين المفاجأة العكسية والمفاجأة المحتملة جمعاً بدأ فيه بالمفاجأة العكسية خلافاً للقصة السابقة؛ حيث يتحدث الراوي عن رجل الأعمال الذي بدأ نجاحه من الصفر حتى وصل إلى رجل أعمال ناجح يملك الملايين، وقد أسس حياته منذ البداية على الجد وتحمل المسئولية، فتزوج في سن صغيرة وهو لا يملك شيئاً بعد رفض أهله وأهل زوجته لكنه تزوجها وبدأ معها رحلة النجاح، وعندما أنجب فكَّر أن ينجب طفلين فقط حتى يستطيع أن يصل بهما إلى أرقى مستويات الحياة، وقام على تربيتهم وتعليمهم أفضل قيام آملاً أن يتحملوا مسئولية تركته من بعده ويحفظوها ويعملوا على تنميتها، وتبعاً لذلك رسم في ذهنه تصوراً لمستقبل أبنائه تمنَّاه وحلم به، يقول: " **إنها لا يمكن أن تتزوج إلا رجلاً ناجحاً.. وحتى يتأكد من نجاحه فيجب أن يكون أبوه أيضاً ناجحاً.. وكل النجاح الذي يتصوره هو النجاح في الثراء.. والنجاح في**

استمرار هذا الثراء... هكذا كان يتصور المستقبل الذي يرسمه لابنته سناء.. فكيف كان يتصور مستقبل ابنه علاء..؟

إنّ أوّل ما كان يتمناه أن يكون صورة طبق الأصل منه.. يريده أن يكون بنفس شخصيته وبنفس ذوقه ومزاجه وقوة احتماله.. إن الثراء يتطلب قوة احتمال أكثر مما يتطلبها الفقر.. وهو قد بدأ كل هذا النجاح بلا شيء، أما ابنه فسيبدأ والنجاح بين يديه فعلاً.. وهو يريده أن يكون قادراً على الاستمرار بهذا النجاح.."(١)

فهذا النص الذي رسم فيه الأب مستقبل أبنائه وتمناه وحَلِم به يحمل في طياته توقع صورة حياة أبنائه المستقبلية، وقد تحققت بعض الملامح منها لدى ابنته سناء فقد تفوقت في تعليمها، والتحقت بالجامعة الأمريكية، وتخصصت في إدارة الأعمال، وأجادت اللغة الإنجليزية والفرنسية إلى جانب العربية، وقد ظهر نشاطها جليًّا في متابعة أعمال شركات أبيها ومصانعه، والتردد عليه في مكتبه باستمرار، وإبداء الآراء في قراراته وأعماله على نحو يجعل توقعه يقترب من التحقق، لكن هنا تقع المفاجأة العكسية، يقول: " **قالت وابتسامتها تتسع أكثر:ــ آسفة يا بابا.. لقد قاومت أنانيتك واخترت لنفسي.. وارتفع صوته في دهشة وكأنه يصرخ:ــ اخترت من؟! قالت دون أن تهتز ابتسامتها:**

ــ اخترت عبد الكريم بسيوني.. وسرَح الأب لحظة وهو يردد اسم عبد الكريم.. عبد الكريم... وكأن ابنته سناء تريد أن تساعده على التذكر فعادت تقول:ــ الأسطى عبد الكريم.. وقفز الأب واقفاً كأنه ضُرِب بشلوت أُلقي به في هاوية وصاح:ــ عبد الكريم السائق الذي كان يعمل عندنا.. مستحيل .. لا يمكن.. أنت مجنونة.."(٢)

---

(١) قصة « لمن أترك كل هذا؟! »، مجموعة لمن أترك كل هذا؟!، إحسان عبد القدوس، ص٧٤، ٧٥

(٢) المصدر السابق، ص٧٨، ٧٩

فالمفاجأة العكسية في هذا النص تهدم توقع الأب وتقلب اعتقاده الذي رسمه لمستقبل ابنته في زواجها من رجل أعمال ثري له أب ثري قبله، وما يجعل المفاجأة أشد وطأة وأكثر عمقاً في الإيلام زواجها من السائق الذي يعمل لديه؛ لذلك أثارت هذه المفاجأة الأب، وبعد محاولة إقناعه لها بخطأ هذا القرار هدَّدته بالهرب معه، وهنا يتحول إلى صراع نفسي داخلي يسلمه تارة إلى الرفض التام مهما كلفه الأمر، ويسلمه تارة أخرى إلى الاقتناع بهذا القرار وفقاً لاسترجاعه زواجه هو من والدتها قبل أن يكون ثريًّا، وقد خرج من الصراع بالرفض التام لهذا الزواج، يقول: " **إنّه قد وصل إلى مكانة اجتماعية لا يشرفه فيها أن يزوج ابنته من سائق سيارة.. ولن يوافق.. لا يمكن أن تتزوج ابنته هذا السائق.. مستحيل..**"(١)

وأمّا ابنه علاء فقد ظهر عليه مبكراً الانطواء، والعزلة، وعدم المبالاة، وعدم الاهتمام بدراسته حتى كان يرسب في كل الامتحانات، ويمكث سنوات في الصف الدراسي في حالة لا يتوقع معها التطور، وقد كان كل اهتمامه هو الاستماع إلى الموسيقا، حتى إنّ والدته ابتاعت له بعض الآلات الموسيقية وأحضرت له معلمين للموسيقا، يقول: " **وقد عرف أخيراً أنه طلب من أمّه أن تشتري له آلة كمان بعد أن اشترت له البيانو.. وجاءت له بمدرس آخر يعلمه العزف على الكمان.. والأب يحاول أن يقنع نفسه بأن هذه مجرد هواية لابنه.. وكونه يهوى اللعب بالآلات الموسيقية أفضل من أن يهوى اللعب بالكوتشينة مثلاً التي قد تحوله إلى لاعب قمار.. وقد يصل إلى المقامرة بكل ما يرثه عنه**"(٢) .

وهذا يمثل بقوة دليلاً ظاهراً على احتمالية وقوع مفاجأة في مستقبل سرد الأحداث المتعلقة بالابن، فقد أرسله أبوه إلى فرنسا لإتمام تعليمه بعد أن اتسعت الفجوة بينهما وأصبح يغيب عن البيت كثيراً ولساعات متأخرة من الليل مع أصدقاء له، راجياً أن يعود رجلاً يحمل من التعليم ما يجعله يحفظ ثروة أبيه، ويستمر في نجاحه كذلك، لكن بعد سفره إلى فرنسا يلتحق بمعهد متخصص في اكتشاف مواهب

---

(١) قصة « لمن أترك كل هذا؟! »، مجموعة لمن أترك كل هذا؟!، إحسان عبد القدوس، ص٨٤

(٢) المصدر السابق، ص٨٦، ٨٧

الشبان ومنحهم التعليم الذي يتفق مع مواهبهم، وقد علم الأب بتحويل ابنه من قبل المعهد إلى معهد آخر يتفق معه دون أن يعلم طبيعة التعليم الذي يتلقاه؛ لعدم إعلامه به نتيجة الخلاف والانفصال بينهما، لكن بعد عودة الابن من فرنسا يتفاجأ الأب مفاجأة قوية بتعليم ابنه الذي تلقاه في فرنسا، يقول: " **وبعد عامين فوجئتِ العائلة بعودة علاء إليها.. وتحامل الأب على نفسه حتى لا يلوم ابنه على عدم اتصاله به خلال غيبته وسأله مبتسماً:**

ــ ماذا تعلمت حتى الآن.. قال علاء وقد تغيرت لهجته، وأصبحت قوية جريئة كأن الغربة قد جعلت منه شخصاً آخر:

ــ تعلمت الموسيقا.. وصاح الأب كأن حجراً ألقي على رأسه:

ــ وماذا ستفعل بهذه الموسيقا.. وصاح علاء في هدوء:

ــ سأكوّن فرقة موسيقية وأعمل بها ومعها..

وصرخ الأب ويده تشوح في الفراغ كأنّه يهم أن يصفع ابنه..

ــ أي أنك ستعمل في أحد الكباريهات أو أحد ملاهي شارع الهرم.. وتتزوج راقصة.."[1]

فالمفاجأة المحتملة بدليل ظاهر ــ تمثّل في ميوله الموسيقية في هذا النص ــ خالفت توقع الأب الذي رسمه لتعليم ابنه ومستقبله كذلك، وقد أثرت هذه المخالفة تأثيراً واضحاً في سلوك الأب الذي ظهر جليًّا في رفضه لتعليم الموسيقا رفضاً بلغ حدّ الطرد من البيت، لكنه أعرض عن هذا بسبب صراخ زوجته؛ ليلجأ مرة أخرى للصراع النفسي الداخلي خوفاً من ضياع ثروته وشركاته على يد ابنه وبنته اللذَينِ خاب فيهما ظنه؛ مما جعله يفكر في مستقبل شركاته وأمواله تفكيراً ذهب به تارة إلى إنجاب طفل جديد يعوضه عما فقده في ابنه وبنته، وحين تأكد من استحالة حدوث ذلك لتقدم زوجته في العمر فكر في الزواج من أخرى تنجب له طفلًا، لكنه تراجع لحبِّه لزوجته، وذهب به تارة أخرى إلى بيع شركاته الضخمة

---

(١) قصة « لمن أترك كل هذا؟! »، مجموعة لمن أترك كل هذا؟!، إحسان عبد القدوس، ص٩٠، ٩١

والاستمتاع بأموالها بدلاً من أن يبيعها ابنه وبنته، لكنه تراجع واستسلم للسير قُدماً في أعماله إشباعاً لهوايته في تحقيق المكاسب والنجاح، يقول: " **واستمر يعمل، وقد ازداد جرأة في مغامراته واندفاعاته.. لم يعد حريصاً على ضمان استمرار نجاحه من بعده.. إنه يعمل لمجرد إشباع هوايته، كأنّه يلعب الطاولة أو الكوتشينة ويكسب كل من يلاعبه..**"(١).

هذا الاستسلام كان استسلاماً جزئيًّا تحول بعد ذلك إلى استسلام كلي حيث بدأت الحياة تهدأ وعادت علاقة ابنته به مرة أخرى، وكانت تأتي إلى البيت مصطحبة زوجها وتلقي بنفسها في أحضان أبيها، كذلك عادت علاقته بابنه طبيعية؛ حيث أذعن لرغبته الموسيقية، يقول: " **ثم أخذت الحياة العائلية تهدأ من حوله.. لقد أصبحت ابنته سناء تأتي إليه، وتلقي بنفسها بين أحضانه... ووصلت ابنته إلى أنها أصبحت تصحب زوجها السائق عبد الكريم بسيوني في زيارتها.. ويجد نفسه مضطرًّا إلى الاجتماع به والجلوس معه... وأرسل يستدعي ابنه، وقال له وهو يبتسم.. كأنّها ابتسامة رجل يعترف أخيراً بهزيمته:ـــ اجلس.. لقد أوحشتني.. وفرح علاء باستعادة رضاء أبيه.. وأخذ يحدثه عن الموسيقا والفرقة التي أقامها، والألحان التي أذيعت له.. والأب لا يحاول أن يفهم ما يسمعه منه.. يكفي أن يسمع صوت ابنه... إنه استعاد إحساسه بأنه رب العائلة..**"(٢) .

بهذا الاستسلام الكلي ختم الكاتب قصته، وأنهى أحداثها نهاية موافقة وملائمة لفكرة الكاتب التي ترمي إلى الإقرار بالقدرات الذاتية والمواهب في تحقيق النجاح والتطور، وليس الاعتماد على قدرات الآخرين، وقد أسهم تنويع المفاجأة إسهاماً فاعلاً في بلورة هذه الفكرة حيث أدَّت المفاجأة العكسية إلى رفض الأب التام لاختيار ابنته وهو رفض ملائم للموقف قبل تحقق نجاح البنت في بناء حياتها، ثمّ جاءت المفاجأة المحتملة بدليل ظاهر ممهدة للاستسلام بعد ظهور بوادر النجاح لأبنائه في اتجاه غير اتجاهه، وتبعاً لذلك أثَّرت المفاجأتان المتنوعتان تأثيراً فاعلاً

---

(١) قصة « لمن أترك كل هذا؟! »، مجموعة لمن أترك كل هذا؟!، إحسان عبد القدوس، ص٩٥

(٢) المصدر السابق، ص٩٦

في عناصر السرد، حيث أسهمت المفاجأة الأولى العكسية في تحويل الشخصيات وأحداثها من الهدوء والتآلف إلى الصراع المفضي إلى الرفض التام لفكر الابناء، وأسهمت المفاجأة المحتملة في تحويلهما إلى الصراع المفضي إلى الاستسلام لاختيارات الابناء من قِبَل الأب وتخليه عن الطموح الذاتي في الابناء، كذلك أسهمت المفاجأة العكسية في تحويل طبيعة بيت العائلة من العمار والحيوية والنشاط إلى الخراب والخمول بغياب الأبناء عنه بعد رفض الأب لاختياراتهم، وأسهمت المفاجأة المحتملة في عودة العمار والحيوية والنشاط إلى البيت بعودة الابناء إليه بعد استسلام الأب لاختياراتهم، ولا شك أن المتلقي في كل ذلك يسير مع الأحداث والشخصيات في بنائها السردي القوي والفاعل بشغف راغباً في الوقوف على موقف الأب النهائي ليكتشف استسلامه في النهاية للفكرة المقصودة في القصة.

ثانياً ــ المفاجأة المتنوعة تنوعاً مزدوجاً:

في هذا النسق استعمل « إحسان عبد القدوس » موقف واحد مفاجئ كشف به عن حالتين متناقضتين لإحدى شخصيات القصة، وأدى به دوراً مهمًّا في تخليص الشخصية من التناقض؛ حيث جعل الموقف المفاجئ سبب المرض وسبب العلاج في آنٍ واحد؛ ولهذا " يذهب كارل روجرز إلى أنّ منشأ الإبداع يبدو أنّه هو نفسه منشأ النزعة المحركة للشخص في العلاج النفسي لكي يبرأ مما به من اضطراب، إنها نزعة الإنسان لكي يحقق ذاته، ولكي يتطابق مع إمكاناته"[(١)]، مطابقة تزيل عنه حالة التناقض وتردُّه إلى حالته الذهنية والنفسية الطبيعية.

ففي قصة « بئر الحرمان »، يتحدث راوي القصة الذي يعمل طبيباً نفسيًّا عن بطلة القصة ناهد إحدى المريضات التي جاءت له في عيادته وبتوقيع الكشف عليها علم أنها تعاني من حالة نفسية خطيرة، فهي تكون عصبية بشدة أحياناً وتفعل أشياء ولا تدري متى فعلتها، وتحدث لها أحداث ولا تتذكر متى حدثت لها، كذلك

---

(١) ازدواجية الوجود الإنساني في رواية « حدائق الخريف » لحسن البنداري (بحث)، د. إيمان السيد أحمد الجمل، ص١١٣، مجلة كلية التربية، مجلد٢٦، عدد٦، ج١، ٢٠١٦م، جامعة الإسكندرية ــ مصر.

كشفت له عن وقوعها تحت وطأة تهديد اثنين نالا من عرضها: أحدهما ــ شاب أحبَّته في الجامعة تركها بعد أن نال من عِرضِها وسافر، والآخر ــ سائقها الخاص نال منها بعدما أسرت له بما حدث مع الشاب الجامعي، وبعد زواجها من شاب غيرهما وقعت تحت تهديد الشاب الأول بعد عودته، وتحت تأثير السائق حتى أصبح في حياتها ثلاثة رجال، ويقوم الدكتور بدوره الطبي في تحليل هذه القصة، فيقول: " **ولم آخذ هذه القصة على علَّاتها.. لم أصدقها كما روتها لي ناهد.. لقد صدقت أن في حياتها ثلاثة رجال.. ولكني لم أصدق الطريقة التي وصلت بها إلى هؤلاء الثلاثة.**

كان أوّل ما ألاحظه على قصة ناهد أنّها لم تتحدث عن أمها كثيراً.. وعندما كانت تتحدث عنها كانت تصفها أحياناً، بأنّها « ست غلبانة ».. دون أن تُبدي سبب اقتناعها بأنها « غلبانة ».."[١]

وانطلاقاً من هذه الملاحظات تتبع الطبيب حالة ناهد النفسية من خلال جلسات العلاج النفسي التي تجلس فيها على الأريكة وهو بجوار رأسها يسألها عن تفاصيل حياتها فتجيب وتنطلق في سردها، مُحللاً ومفسراً كل ما تبوح به ناهد من تفاصيلَ وأسرارٍ، حتى توصل إلى تشخيص حالتها المرضية النفسية، يقول: " **لقد اكتشفت أولاً، أنها تعاني من ازدواج الشخصية.. واكتشفت أن الشخصية الثانية تتقمص ناهد عادة عقب مواجهتها لمأساة أمها. واستطعت أن أتصور تطورات الأزمة التي تنتابها.. إنها ــ عقب مواجهتها لمأساة أمها ــ تفقد الإحساس بشخصيتها الظاهرة، وتنتقل رويداً رويداً إلى الشخصية الثانية التي تنطلق من أعماقها.. من عقلها الباطن.. وتبدأ تحسُّ بجوع جنسي عنيف**"[٢].

لذلك تسيطر عليها الشخصية الثانية وتجعلها تتجه من غير وعي إلى إشباع جوعها العنيف، ومن ثمّ تخضع لأي رجل متجرد من الأخلاق سواء سائقها الخاص أو حبيبها، تحت تأثير شخصيتها الثانية المضادة لشخصيتها الطبيعية،

---

(١) قصة « بئر الحرمان » مجموعة بئر الحرمان، إحسان عبد القدوس، ص١٨، ١٩

(٢) المصدر السابق، ص٢٨، ٢٩

بعد هذا التشخيص اتجه الراوي إلى كشف أسباب حالة ناهد المرضية وجذورها الواقعية عبْر تساؤلات حاول من خلالها إيجاد العلاقة بين ازدواج الشخصية واتجاهها الجنسي، وحاول كذلك اكتشاف مأساة أم ناهد التي لاحظها من إشارات كلامها عنها وأثرها في حالة ناهد النفسية، وقد سلك في التعرف على إجابة هذه الأسئلة طريق البحث عن تفاصيل أسرة ناهد الداخلية وعلاقة الأب بالأم فيها من خلال سؤال ناهد في الجلسات العلاجية، ومن خلال استدعاء سائقها الشخصي نفسه وسؤاله عن ناهد وعن علاقة الأب بالأم في الأسرة دون أن يصل إلى ما يعِينه على علاجها، حتى استدعى والدها محمد فخر الدين إلى العيادة وشرح له حالة ناهد طالباً منه أن يعينه في علاجها، ومن خلال حوار دار بينهما عن ناهد من بداية مولدها حتى حاضرها استطاع الطبيب بحنكته وفطنته الطبية النفسية أن يصل منه إلى معلومة جسدت مفاجأة قوية للراوي وللمتلقي؛ حيث يقول: " **وتركته يسكت، إلى أن تكلّم من تلقاء نفسه، قال:ــ فعلاً.. ناهد مش بنتي.. أنا اتجوزت أمها بعد ما قعدت أحبها خمس سنين.. كانت ساكنة مع أمها في الشارع بتاعنا.. وحبيتها.. حبيتها صحيح.. وعملت المستحيل علشان اتجوزها.. ويوم جوازنا.. في ليلة دخلتنا.. اعترفت لي أنها مش عذراء.. وانها حامل.. حامل في شهرين.. واتجننت... ما عرفتش ليلتها أعمل إيه.. ما فكرتش إني أطلقها، لأني كنت باحبها.. كنت ما صدقت اني اتجوزتها.. فكرت في حاجات كتير.. إنما كل اللي عملته إني ما قربتش لها.. سيبتها ورحت الأودة التانية، ومسكت المصحف وحلفت أني لا أعاشرها معاشرة الأزواج أبداً.. ومن يومها لدلوقت ما قربتش ناحيتها.. عمرنا ما نمنا في سرير واحد..**"[1]

فهذه المفاجأة التي كشفت عن حمل أم ناهد بها من رجل غير محمد فخر الدين قبل الدخول بها، وعقابه لها بالهجر والافتراق عنها في المضجع على مدار سبعة وعشرين عامًا كان سبباً واضحاً في إصابة ناهد بحالة ازدواج شخصيتها،

(١) قصة « بئر الحرمان » مجموعة بئر الحرمان، إحسان عبد القدوس، ص٤٦، ٤٧

أكده الراوي بعد هذه المفاجأة في إحدى جلسات العلاج التي جاءته فيها ناهد وركز فيها تركيزاً بالغاً على تفاصيل طفولتها حتى توصل منها إلى تسرب بعض العبارات التي تحمل مدلول المفاجأة من المُربية التي كانت تضربها، يقول: **كلمات متفرقة تذكرتْها ناهد بصعوبة.. ثمّ انتفضت جالسة فوق الأريكة، وهي تصرخ:ــ ده مش بابا.. محمد فخر الدين مش بابا.. أنا مش بنته.. أنا بنت مين؟.. وتنهدت.. كانت مهمتي قد انتهت.. وقمت إلى مكتبي أكتب ملاحظاتي وعلى شفتي ابتسامة النصر.. وبعد أن هدأت نوبة الصراخ التي انتابت ناهد.. بدأت أروي لها كل تفاصيل حياتها التي أدت إلى مرضها.. وهي تنظر إليَّ بعينين مذهولتين.. كأنها ترى نفسها لأول مرة... قالت في أسى:ــ ودلوقت أعمل إيه؟ قلت ولا حاجة.. كل اللي لازم تعمليه، انك تعرفي اسم والدك الحقيقي، وتروحي تزوري قبره... وخرجت ناهد.. إنسانة جديدة.."**(١)

فالراوي هُنا بعد أن توصلت ناهد إلى أن محمد فخر الدين ليس أباها روى لها أحداث المفاجأة التي صرح بها محمد فخر الدين سابقاً، والتي أصابتها أيضاً بالذهول والمفاجأة مؤكداً لها حقيقة ما توصلت إليه؛ مما أدى إلى تلاشي الازدواجية وشفائها منها حتى خرجت من عنده إنسانة جديدة، وبذلك كانت المفاجأة واحدة لكنها تنوعت تنوعاً مزدوجاً تبعاً لتأثيرها المسبب للمرض والشفاء في هذه القصة.

من هنا ظهر جلياً أثر المفاجأة المزدوجة وفاعليتها القوية في البناء السردي وعناصره حيث أسهمت في تحويل طبيعته قبل المفاجأة على خلاف المعتاد من البناء السردي البسيط إلى التحليلي العميق، حين لحظ الراوي من كلام ناهد في أوّل زيارة له في عيادته إشارات ترمي إلى اضطراب علاقة الأم بالأب، ومن ثمّ تتبع هذه الإشارات باحثاً في تفاصيل حياة ناهد وأسرتها بحثاً مشفوعاً بالتحليل، والتفسير العميق، والتعقيب حتى وصل إلى المفاجأة التي أكَّدت ملمحه في الإشارات السابقة، كذلك أسهمت في تحويل شخصية ناهد من الاضطراب والازدواج النفسي إلى الاتزان النفسي والشفاء التام من الحالة المرضية النفسية التي أصابتها.

---

(١) قصة « بئر الحرمان » مجموعة بئر الحرمان، إحسان عبد القدوس، ص٥٦، ٥٧

وفي قصة « سقوط العقل »، اعتمد « إحسان عبد القدوس » على المفاجأة المزدوجة المتعددة حيث يتحدث راوي القصة ذلك الطبيب النفسي عن بطلة القصة أنجي المصابة باضطراب نفسي حاد، فيذكر في مقدمة عامة الارتباط بين الحب الشديد والخوف على من نحبهم، ثم يدلف إلى قصة أنجي فيبدأها بحادثة مفاجئة حاولت فيها أنجي قتل أمها بالسكين، يقول فيها: " **ظلت أنجي منتصبة أمامها، وعيناها تبرقان بريقاً حادًّا من خلف شعرها الأسود السائل على وجهها.. والسكين مشهر في يدها، معلق في الهواء.. وفجأة هوت أنجي بالسكين في اتجاه صدر أمها.. وابتعدت الأم بسرعة.. فسقطت السكين فوق مرتبة السرير، وسقطت معه أنجي منكفية على وجهها.. ولكنها اعتدلت بسرعة واقفة على قدميها.. وسقط السكين من يدها ونظرت إلى أمها وفي عينيها دهشة مجنونة كأن هناك شيئاً لا تصدقه، ثُمّ صرخت صرخة حادة وسقطت على الأرض مغشيًّا عليها..**"[(١)]

هذه المفاجأة التي حملت محاولة قتل أنجي لأمها وهي نائمة تثير في ذهن المتلقي سؤالاً يستدعيه الموقف وهو لماذا حاولت قتل أمها؟ والإجابة عن هذا السؤال تقتضي الغوص في أعماق الأسرة واكتشاف ملامح علاقات أفرادها ببعضهم؛ لذلك استدعى والد أنجي الطبيب النفسي راوي القصة وقص عليه الحادثة؛ فاتجه مباشرة إلى البحث عن أسباب الحادثة المفاجئة من خلال سؤال الأم عن سبب فعل ابنتها، وعلاقتها بها وبأبيها وسؤالها عن أدق تفاصيل حياة أنجي مع أسرتها، وحتى سؤال أنجي نفسها عن ترديدها لكلمة ماما عندما تفيق، والتي علم منها أنها تعتقد أنّ أمها قد ماتت، إضافة إلى ذلك فقد عمل على تحليل النوبات الاضطرابية التي تصيبها حتى وصل إلى تحليل حالة أنجي تحليلاً يجيب على سؤال المتلقي يقول: " **لقد كانت أنجي تحب أمها حبًّا شاذًّا، ربما كان سببه أن أمها ربطتها بها أكثر مما يجب، لأنها وحيدتها.. وهذا الحب دفع أنجي إلى أن تخاف على أمها.. تخاف أن تفقدها.. ودفعها هذا الخوف إلى أن تمر بها لحظات تتصور فيها اليوم**

(١) قصة « سقوط العقل » مجموعة بئر الحرمان، إحسان عبد القدوس، ص٦٤

الذي ستموت فيه أمها.. ولا شك أن أنجي في أوّل الأمر كانت تستطيع أن تكتم هذا الخيال وتهرب منه.. ولكنها كانت أضعف من أن تستمر في الهروب من خيالها.. وبدأ هذا الخيال يلاحقها.... أصبحت تتمنى أن تموت أمها فعلاً، كلما مرّت بها لحظة تراها فيها حية.. أصبحت تتمنى أن تموت أمها لتتخلص من خيالها.. ليصبح خيالها حقيقة تخلصها من الخوف.. هذه الأمنية المكبوتة جعلتها تمر في مرحلة أخرى.. مرحلة الابتعاد عن أمها.. والفزع كلما رأتها.. كأنها ترى شبحاً.. شبح أمها التي ماتت.. ثم تطور بها هذا الجنون إلى حدّ محاولة التخلص من هذا الشبح الذي يطاردها.. محاولة قتل أمها بسكينة المطبخ.."(١)

هذا التحليل الذي يجيب عن سؤال لماذا فَعَلَتْ؟ يؤكد ازدواجية المفاجأة السابقة ازدواجاً مركباً ــ نابعاً من ازدواجية الشخصية نفسها ــ جمع بين حب الأم الشديد، والخوف عليها، والإقدام على قتلها نتيجة تبدل موقع العقل الواعي والعقل الباطن الذي تختزن فيه الذكريات المؤلمة والأحداث المؤرقة؛ حيث سيطر العقل الباطن على العقل الواعي سيطرة كاملة واحتل مكانه وسقط العقل الواعي إلى موقع العقل الباطن في تشخيص نفسي أطلق عليه سقوط العقل، وتبعاً لهذا التحليل اتجه الراوي إلى علاج أنجي من حالتها النفسية المضطربة، فعمل أولاًــ على إثارة المعركة بين عقلها الباطن وعقلها الواعي مجدَّداً من خلال موافقته لاعتقادها بأن أمها قد ماتت، وتأكيده لها بأن أمها كانت تشتكي من القلب، ثمّ عودته إلى نفي شكوتها بالقلب، وعمل ثانياًــ على إعادة العقلينِ إلى مواقعهما الحقيقية مرة أخرى فاصطنع مفاجأة عكسية مزدوجة تتضمن حياة خالة أنجي فيفي التي ماتت في الحقيقة، يقول: " **وبعد ذلك جاءت الخطوة التالية في العلاج الذي أحاوله.. دخل والد أنجي عليها في الصباح وقبلها في جبينها، وقال في هدوء:ــ طنط فيفي بتسلم عليكي..**

وقفزت أنجي من فراشها كأنها لسعت بالنار، وصرخت صرخة مبحوحة:

---

(١) قصة « سقوط العقل » مجموعة بئر الحرمان، إحسان عبد القدوس، ص٧٢، ٧٣

ــ طنط فيفي مين؟ وقال الوالد في هدوء:ــ خالتك فيفي..

وصرخت أنجي صرخة حادة، وهي تشد في شعرها، وتضرب الفراش بقدميها:

ــ طنط فيفي ماتت.. ماتت.. ماتت.. وانتظر الأب حتى هدأت أنجي قليلاً، وقال:

ــ يا شيخة حرام عليكي.. عايزة تموتيها ليه.. دي في لندن بقالها ست أشهر.. ونظرت إليه في ذهول وعاد الأب يتكلم:

ــ دي حتى كانت بتتكلم في التليفون مع ولادها.. ولما عرفت إنك عيانة.. قالت إنها حاتكلمك في التليفون بكرة.. وبدأنا نستعد للخدعة الكبرى.."[1]

هذه المفاجأة المزدوجة قصد بها الراوي تحريك عقل البطلة الباطن، والذي يتجلى موت الخالة حقيقة ثابتة فيه، فإذا أثار عقلها الباطن بحياة خالتها تحرك مضادًا لفكرة حياتها بموتها الثابت فيه، وإذا تحقق ذلك استطاع أن يعيد العقل الباطن إلى موقعه الحقيقي، ويجذب العقل الواعي إلى موقعه الحقيقي في عملية تصحيح المسار الإدراكي للشخصية؛ لذلك استمر مسار المفاجأة بفعل الأب وتوجيه الراوي الطبيب فمرة يُحضِر إليها خطاباً من خالتها فتقرأه ويشتد ذهولها فيغمى عليها، ومرة يدخل عليها والدها مهللاً ويخبرها بأن خالتها ستحادثها في التليفون الساعة السابعة وتحادثها في الموعد نفسه امرأة من عائلتها يشبه صوتها صوت خالتها فيشتد ذهولها ويغمى عليها، وهنا يتحقق أثر المفاجأة الذي قصده الراوي، يقول: " **وفي نفس الليلة.. في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.. قامت أنجي من فراشها مذعورة.. وهي تصرخ:ــ ماما.. ماما.. ثم جرت حافية القدمين نحو حجرة أمها.. وفتحت الباب.. ثمّ ألقت نفسها بين ذراعي أمها، وهي لا تزال تصيح:ــ ماما.. ماما.. واحتضنتها الأم في صدرها، وقالت وهي تكتم فرحتها:**

(١) قصة « سقوط العقل » مجموعة بئر الحرمان، إحسان عبد القدوس ، ص٨٤، ٨٥

ــ مالك يا حبيبتي مالك يا أنجي.. وقالت أنجي، وهي تخفي وجهها في صدر أمها:

ــ خايفة يا ماما .. خايفة.. وقالت الأم:

ــ لازم حلمتي حلم وحش.... وقالت وأنفاسها تتهدج كأنها عادت من مشوار طويل قطعته جرياً: ــ أيوه يا ماما.. حلمت حلم وحش خالص.. حلمت إنك بعيد الشر حصلك حاجة.. وربتت الأم على ظهر ابنتها، وقالت:

ــ ما تخفيش يا بنتي.. أنا حافضل عايشة طول ما انتي عايشة وكويسة.. وهكذا أنقذت أنجي.."[١]

وبذلك تحقق ما كان يرجوه الراوي من مفاجئته المصطنعة المزدوجة التي حملت السمة التجريبية في علاج أنجي، فتغلب عقلها الواعي الذي يعي بقاء الأم على قيد الحياة وعدم موتها، وانتصر على العقل الباطن الذي يختزن الذكريات المؤلمة ومنها وفاة خالة أنجي؛ وبذلك عاد العقل الواعي إلى مكانه الحقيقي، وهوى العقل الباطن إلى مكانه الحقيقي فشفيت أنجي من اضطرابها النفسي.

وفي ضوء ذلك أسهمت المفاجأة المزدوجة الأولى إسهاماً فاعلاً في كشف حالة بطلة القصة المرضية، وفي تحويل طبيعة البناء السردي وعناصره من البناء الإخباري قبل المفاجأة إلى البناء البحثي الاستقصائي التحليلي المتعمق في تفاصيل حياة البطلة بعدها، وأسهمت بفاعلية في توليد مفاجأة مزدوجة أخرى اقتضتها حاجة البناء البحثية؛ والتي أدت دوراً فاعلاً في تحويل طبيعة البناء وعناصره مرة أخرى إلى البناء الاجرائي التجريبي والذي انتهت نتائجه إلى شفاء البطلة وتحوّلها من الاضطراب النفسي إلى الاتزان النفسي والإدراك الصحيح.

هذا الأسلوب التنويعي السابق بين المفاجآت أكد بقوة قدرة « إحسان عبد القدوس » الفنية البارعة في استعمال التنويع الأدبي في نصوصه القصصية استعمالاً حقق قوة أفكارها وفاعليتها في تشويق المتلقي وجذبه إلى الفكرة وإقناعه

---

(١) قصة « سقوط العقل » مجموعة بئر الحرمان، إحسان عبد القدوس، ص٨٨

بها، وهذا يدحض اتهام المستشرق الفرنسي رينان للمبدعين العرب؛ حيث يقول: " إن العقلية العربية مباشرة لا تستطيع التركيب، وهي بهذا لا تستطيع أن تبدع العمل القصصي"(١)، بل العقلية العربية عقلية مبدعة مفكرة أثْرت المكتبة العربية منذ مطلع العصور الأدبية بالعلوم والآداب التي أثّرت في العقول الغربية وخاصة فن المقامات وألف ليلة وليلة، والتي تأثر بها الكتاب الغربيون في مؤلفاتهم القصصية، وعلى رأسهم الكتاب الإسبان الذين أبدعوا قصص الشطار على غرارها؛ فكانت صورة جلية لتأثر الكُتَّاب الغربيين بالآداب والفنون المنبثقة من العقلية العربية.

(١) الأدب العربي تعبيره عن الوحدة والتنوع، مجموعة مؤلفين، ص٨٧، ط. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـــ لبنان، الأولى ١٩٨٧م.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم أنبياء الله ورسله أجمعين.. وبعد:

فعبر جولة بحثية هادفة في مجموعات « إحسان عبد القدوس » القصصية أردت في ضوئها الوقوف على إبداعيته في تصوير أحداث الحياة، وتطويع فنه القصصي لمواكبة تطوراتها من خلال تقنيات السرد التي تعد الركيزة الأهم في تشكيل القصص، والتي اختص البحث من بينها تقنية المفاجأة بالدراسة والتدقيق في تأثيراتها على تشكيل العملية السردية وبناء الأفكار في إطارها بناءً ينهض بمهمة جذب القراء وتشويقهم وإقناعهم بتلك الأفكار، وبعد تلك الجولة البحثية المهمة أفضى بنا البحث إلى مجموعة من النتائج نجملها في الآتي:

١ــ كشفت المفاجأة عن مقدرة « إحسان عبد القدوس » وقوته الإبداعية الفذة في صياغة أفكار قصصه صياغة عميقة تتغلغل في عمق المجتمع؛ فتعري عيوبه وتعزز محاسنه مُواجِهَة بينهما مُواجَهَة لعبت المفاجأة الدور الفاعل والرئيس في تشكيلها.

٢ــ أظهرت النصوص مُرونة المفاجأة وطواعيتها لطبيعة الأفكار؛ حيث تردّد موقعها بين مقدمة القصة ووسطها ونهايتها، وتردد أثرها بين السرعة في ردة الفعل والبطء الناتج عن التدرج في ردة الفعل.

٣ــ تطورت المفاجأة في سياقات القصص تطوراً واضحاً من المفاجأة المفردة إلى المفاجأة المتعددة، والتي ظهرت في نسق التوالد الذي اعتمد فيه الكاتب على المفاجأة الأم الأولى وولد منها مفاجأتين، وفي نسق التنوع الذي اعتمد فيه على مفاجأتين أو أكثر مختلفتين في النوع أو مزدوجتين في سياق قصصي واحد، تعدداً أسهم في اتساع أفق السرد ومن ثمّ اتساع دلالاته ومضامينه.

٤ــ لعبت المفاجأة دوراً رئيساً فاعلاً في تحويل طبيعة البناء السردي وعناصره الفنية تحويلاً ذا دلالات مضمونية بالغة الأهمية، فحوّلته من الخيالية الشاذة المفرطة إلى الواقعية المعتدلة، وحولته من السطحية إلى العمق، ثمّ حولته

من البناء الواقعي البسيط إلى الجدلي الفكري الخارجي مرة ، ثم الجدلي الفكري الباطني مرة أخرى.

٥ــ أسهمت المفاجأة في تحويل طبيعة البناء السردي الأسلوبية من البناء الجاد الموضوعي الثري بالمعلومات والأفكار إلى البناء الهزلي المجرد من الموضوع، وحوَّلته من البناء الإخباري إلى البناء البحثي الاستقصائي التحليلي المتعمق، ثمّ إلى البناء الإجرائي التجريبي.

٦ــ نهضت المفاجأة بتحقيق المواجهة الفاعلة بين التقاليد المجتمعية الشرقية والثقافات الوافدة عليها، والتي أثبتت من خلالها تبايُن أفراد المجتمع تجاه هذه الثقافات بين قويٍّ متمسك بتقاليده معتزٍّ بها، وبين ضعيف متذبذب وجدت تلك الثقافات لها هوى في نفسه.

وختاماً فالحمد لله على ما أنعم به وتفضل، والشكر له ــ سبحانه ــ على ما وفَّقني إليه من الصواب، وأستغفره ــ عز وجل ــ لما وقع من الخطأ والزلل والهفوات، وأسأله ــ سبحانه ــ أن يجعل جهدي المتواضع نافعاً مفيداً فاتحاً لأفكار أخرى أكثر إفادة في مقام دراسة التقنيات السردية.

إنه نعم المولى ونعم النصير، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

أولاً ـ المصادر:

- مجموعة آســف لم أعــد أستطيع، إحســان عبد القــدوس، ط. دار أخبـــار اليــوم، القــاهرة ــ مصر١٩٩٦م.
- مجموعة التجربة الأولى، إحسان عبد القدوس، ط. دار أخبار اليوم، القاهرة ــ مصر١٩٩٦م.
- مجموعة النســاء لهــن أسنان بيضــاء، إحســان عبــد القــدوس، ط. دار أخبار اليوم، القاهرة ــ مصر٢٠٠١م.
- مجموعة الهزيمة كان اسمها فاطمة، إحسان عبد القدوس، ط. مركز الأهــرام للترجمة والنشر، القاهرة ــ مصر١٩٩٨م.
- مجموعة بنت السلطان، إحسان عبد القدوس، ط. دار أخبار اليوم، القــاهرة ــ مصر، الأولى ٢٠٠٩م.
- مجموعة بئر الحرمان، إحسان عبد القدوس، ط. دار أخبار اليوم، القــاهرة ــ مصر، الأولى١٩٩٧م.
- مجموعة علبة من الصفيح، إحسان عبد القدوس، ط. دار أخبار اليوم، القاهرة ــ مصر١٩٩٩م.
- مجموعة فوق الحلال والحرام، إحسان عبــد القــدوس، ط. الــدار المصــرية اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ــ مصر، الثانية٢٠١٦م.
- مجموعة لمن أترك كل هذا؟!، إحسان عبد القــدوس، ط. دار أخبــار اليــوم، القاهرة ــ مصر، الأولى٢٠٠٨م.
- مجموعة وكر الوطاويط، إحسان عبد القدوس، ط. دار أخبار اليوم، القاهرة ــ مصر٢٠٠٩م.

ثانياً - المراجع:

- إحسان عبد القدوس.. يتذكر، د. أميرة أبو الفتوح، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ــ مصر١٩٨٣م.
- الأدب العربي تعبيره عن الوحدة والتنوع، مجموعة مؤلفين، ط. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ــ لبنان، الأولى ١٩٨٧م.

- ازدواجية الوجود الإنساني في رواية « حدائق الخريف » لحسن البنداري (بحث)، د. إيمان السيد أحمد الجمل، مجلة كلية التربية، مجلد٢٦، عدد٦، ج١، ٢٠١٦م، جامعة الإسكندرية ــ مصر.
- انفعالات النفس، رينه ديكارت، ترجمة: جورج زيناتي، ط. دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ــ لبنان، الأولى١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- أيام شبابي، إحسان عبد القدوس، ط. المكتب المصري الحديث، القاهرة ــ مصر، الأولى١٩٨٠م.
- تأثير استراتيجية المفاجأة علي تجنب الإعلان الرقمي، د. رانيا فاروق عبد العظيم وآخرون (بحث مترجم)، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإسلامية، عدد٢٣ سبتمبر٢٠٢٠م، ج٥ ط. الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، القاهرة ــ مصر.
- تاريخ الدبلوماسية، جيريمي بلاك، ترجمة: د. أحمد علي سالم، ط. هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي ــ الإمارات العربية المتحدة، الأولى ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.
- تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ط. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ــ مصر، الحادية والعشرون١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- التيارات الفنية المعاصرة، د. محمود أمهَز، ط. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ــ لبنان، الثانية٢٠٠٩م.
- الحُب والفناء تأملات في المرأة والعشق والوجود، علي حرب، ط. دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ــ لبنان، الأولى١٤١١ه، ١٩٩٠م.
- خواطر سياسية، إحسان عبد القدوس، ط. دار أخبار اليوم، القاهرة ــ مصر، الأولى ١٩٩٩م.
- الدولة في الفلسفة السياسية، نظرية بناء الدولة، د. علي صبيح التميمي، ط. دار أمجد للنشر والتوزيع، القاهرة ــ مصر، الأولى٢٠١٦م.
- علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، ط. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ــ المغرب، الثانية ١٩٩٧م.
- فاعلية التداخل الأجناسي في الخطاب القصصي، د. جاسم خلف إلياس، ط. دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع، الموصل ــ العراق، الأولى٢٠٢٠م.

- فن كتابة القصة، حسين القباني، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ــ مصر يونيو١٩٦٥م.
- قضايا النقد مدخل إلى نظرية الأدب، هزارد آدمز، ترجمة: د. عيسى العاكوب، ط. وزارة الإعلام، الرياض ــ السعودية، الأولى ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.
- لسان العرب، ابن منظور المصري، ج١، ط. دار صادر بيروت ــ لبنان.
- مذكرات ثقافة تحتضر، غالي شكري، ط. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ــ لبنان، الأولى ١٩٧٠م.
- المصطلح السردي، جيرالد برنس، ترجمة: عابد خازندار، ط. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ــ مصر، الأولى٢٠٠٣م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، ط. عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة ــ مصر، الأولى١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
- معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، ط. التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس ــ تونس١٩٨٦م.
- المعجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الثانية١٤١٩ه، ١٩٩٩م.
- معجم علم النفس والطب النفسي، د. جابر عبد الحميد جابر، د. علاء الدين كفافي، ط. دار النهضة العربية، القاهرة ــ مصر١٩٩٥م.
- معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، ط. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ــ لبنان، الأولى٢٠٠٢م.
- المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد محمد يونس علي، ط. دار المدار الإسلامي، بيروت ــ لبنان، الثانية ٢٠٠٧م.
- نظرية التلقي أصول وتطبيقات، د. بشرى موسى صالح، ط. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ــ المغرب، الأولى٢٠٠١م.
- النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ط. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ــ مصر، أكتوبر١٩٩٧م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	١٥٢
٢-	Abstract	١٥٤
٣-	﴿ المقدمـــة ﴾	١٥٦
٤-	﴿ التمهيـد ﴾	١٦١
٥-	أولاً: إحسان عبد القدوس.. حياة الاختلاف.	١٦١
٦-	ثانيا: المفاجأة والتحول المفاجئ.	١٦٧
٧-	﴿ المبحث الأول: المفاجأة المحتملة ﴾	١٧٤
٨-	المفاجأة المحتملة بدلائل لفظية.	١٧٤
٩-	المفاجأة المحتملة بدلائل سياقية.	١٨٢
١٠-	﴿ المبحث الثاني: المفاجأة العكسية ﴾	١٩٣
١١-	الحدث المفاجئ العكسي.	١٩٣
١٢-	الشخصية المفاجئة العكسية.	٢٠٤
١٣-	الفكرة المفاجئة العكسية.	٢١٤
١٤-	﴿ المبحث الثالث: المفاجأة المتنوعة ﴾	٢٢٢
١٥-	المفاجأة المتنوعة تنوعاً مفترقاً.	٢٢٢
١٦-	المفاجأة المتنوعة تنوعاً مزدوجاً.	٢٣٠
١٧-	﴿ الخاتمـــة ﴾	٢٣٩
١٨-	﴿ المصادر والمراجع ﴾	٢٤١
١٩-	﴿ الفهـــرس ﴾	٢٤٤

تم بحمد الله